

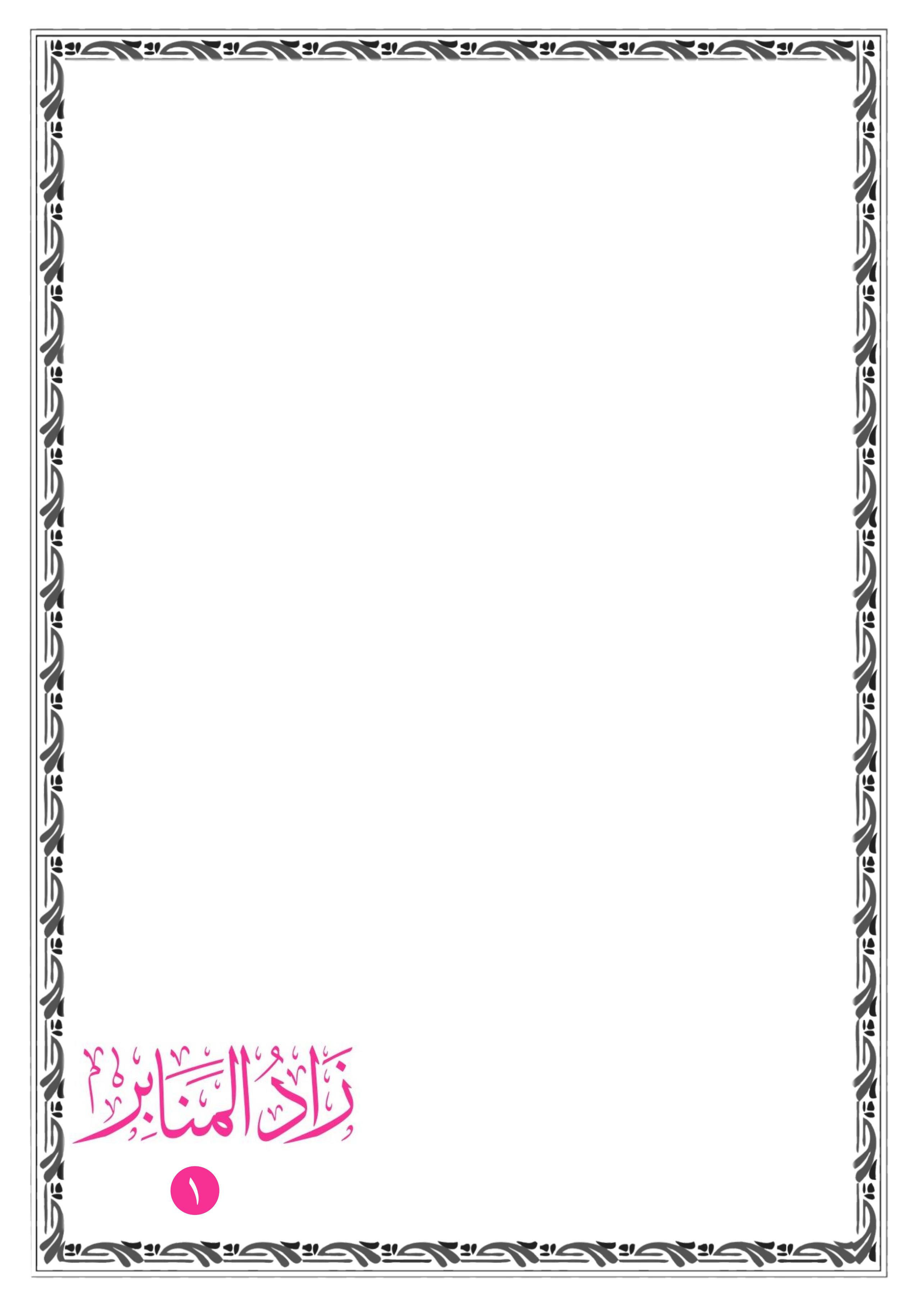
الجزء الأول

يحتوي هذا الجزء على خطب شعبان ورمضان وما بعد رمضان
وخطبة عيد الفطر وخطبة استسقاء





تأليف
عبد الرزاق بن فاضل الربيعي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



زاد المنابر
١



- **اسم الكتاب:** زاد المنابر -الجزء الأول-

- **اسم المؤلف:** عبدالرزاق بن فاضل الربيعي

- **عدد الصفحات:** ٢٣٦

- **المقاس:** ١٧ x ٢٤

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م



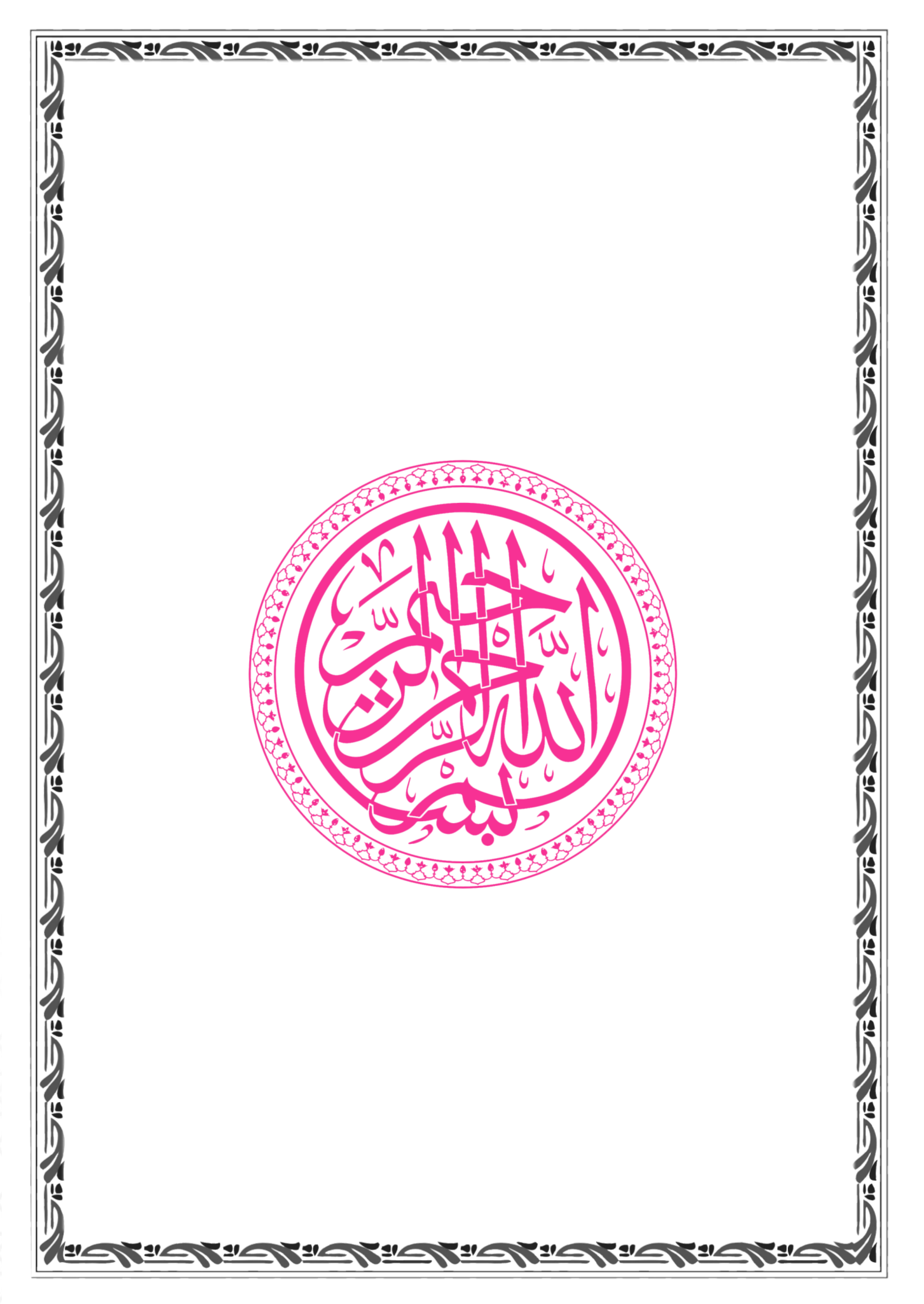
الجزء الأول

يحتوي هذا الجزء على خطب شعبان ورمضان وما بعد رمضان
وخطبة عيد الفطر وخطبة استسقاء

تأليف

عبد الرزاق بن فاضل الربيعي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الذي علَّمَ عبادَه البيان، وألهَمَهُم التِّبيان، أحمدُهُ علىٰ ما أسبغَ من العطاء، وأَسْبَلَ من الغطاء، وأعوذُ بالله من شِرَّةِ اللّسَنِ وفضول الهَذَر، كما أستعيذُ به من معرَّةِ اللَّكنِ وفضوح الحَصَر.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله، شهادةً محصِّلةً للغفران، منقذةً أصحابها من النيران، مُوصِلةً إلىٰ سُكنىٰ الجنان.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، أفصحُ الخلق بيانًا، وأشرفهم قدرًا ومكانًا، وأحسنُهم نُصحًا وتبيانًا. صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه خطبٌ محبَّرة، ومواضيع مسطَّرة، كُتبت بأسلوب يُناسب الخطباء بصنفيهم:

فالخطباء ارتجالًا تغنيهم عن التحضير من غيرها وتكفيهم، والخطباء من الورق أرجو أنَّ المكتوبَ يُناسبهم ويُواتيهم، إذ

جُمعَ فيه بين إيراد الأدلة والنصوص، مع شرحٍ وتوضيحٍ لكل موضوع مخصوص.

وقد تعمَّدَ كاتبُها أن يجعلها في أجزاء صغار، ليسهل حملُها في الأسفار، ونشرُها في الأقطار، ولا تُتعِبُ الخطيبَ عند الإلقاء، ولا تُثقل كاهل المقتني عند الاقتناء.

وقد سميتُ هذه السلسلة: «زاد المنابر» راجيًا إلهي أن ينفع بها البادي والحاضر، وأن يجعلها للخطيب والسامع من خيرة الذخائر.

وأسألُ اللهَ أنْ ينفع بها الخطيبَ والسامع، وأنْ يُيسر انتشارها في الجوامع والمجامع، وأن يجعلها في القيامة نِعمَ الشافع.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الاثنين/ ٦ ربيع الآخر ١٤٤٤

الذخيرة – حرسها الله، وسائرَ بلاد المسلمين = آمين.



محتويات الجزء الأول

في هذا الجزء اثنا عشر موضوعًا، ومحتواها يناسب شعبان ورمضان وما بعد رمضان، وفيه خطبة عيد الفطر، وخطبة استسقاء، فتكون بمجموعها أربعة عشر موضوعًا، وهي كالتالي:

١- تذكيرُ أهلِ الإيمان بما ينبغي فعله في شعبان.

٢- أهميةُ الاستعانةِ بالله علىٰ أداء الطاعات.

٣- استبشارُ أهل الإيمان بقدومِ شهر رمضان.

٤- العنايةُ بالقرآن في رمضان وسائر الأزمان.

٥- فضلُ الجودِ في رمضانَ وسائر الزمان.

٦- الاجتهادُ في العشر وتحري ليلة القدر.

٧- الحثُّ علىٰ تجويد الختام وتحقيق الحكمة من الصيام.

٨- خطبة عيد الفطر بعنوان: [حتىٰ تكون بالعيد سعيدًا].

٩- طلبُ الكرامة في لزوم الاستقامة.

١٠- التذكيرُ المختصر ببعض صفات سيّدِ البشر.

١١- اللُّمعة في فضائل يومِ الجمعة.

١٢- اللُّمعة في سُننِ يومِ الجمعة.

١٣- القولُ البديع في وجوب الحجِّ على كلِّ مستطيع.

١٤- خطبة استسقاء بعنوان: [المعاصي سبب حلول المصائب].



١ - خطبة جمعة بعنوان/

[تذكيرُ أهلِ الإيمان، بما ينبغي فعلُه في شعبان]

الحمدُ لله الذي يُفضِّلُ ما يشاءُ من الأيام والشهور، ويُعظِّمُ ما يريدُ من الأوقاتِ والدهور.

جعلَ الاستبشارَ بمواسمِ الخيراتِ من القُرُباتِ، فله الحمدُ والصلواتُ والطيبات.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، يغفرُ السيئات، ويُكفِّرُ الخطيئات، ويضاعفُ الحسنات، ويُجزل العطيّات في مواسمِ الطاعات.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، البشيرُ بكلِّ خيرٍ، والنذيرُ من كل شرٍّ وضير، صلواتُ الله وسلامه عليه؛ ما رُؤيَ هِلال وسُمعَ إهلال.

يا مَنْ بِحُبِّ المصطفى يَتَعَبَّدُ ... وبِذِكرِ سيرتِهِ فؤادُك يَسْعَدُ
إنَّ الصلاةَ على النبيِّ بكثرةٍ ... فيها فضائلُ، جَهْلُها لا يُحمدُ
تُجزى بعشرٍ في مقابلِ مرةٍ ... وتُحطُّ أوزارٌ، ويُعلى مقعدُ
والذَّنْبُ يُغفَرُ، والهموم يَحُلُّها ... ربٌّ كريمٌ، بابه لا يوصَدُ
ولقد أتى في المكثرين بأنَّهم ... أولى الأنامِ به، فمَنْ يتردَّدُ؟!

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله في السر والعلن، وخشيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الغيب والشهادة، فإنَّ تقوىٰ الله أزينُ ما أظهرتم، وأكرمُ ما أسررتم، وأعظمُ ما ادَّخرتم، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾(١).

عباد الله: إننا في شهرِ شبعان، ويجدُرُ بنا أن نُذَكِّر بأمور هامة تتعلَّقُ بهذه الأيامِ ومنها:

- أنَّ من كان عليه قضاءٌ من رمضانَ الفائتِ فليبادرْ إلىٰ القضاءِ في هذه الأيام، فإنَّ آخرَ مدة يُسمحُ فيها بتأخيرِ القضاءِ إليها هو شعبان، ومن دخلَ عليه رمضانُ القادمُ ولم يقضِ ما عليه من رمضانَ الفائتِ فإنَّه يأثمُ علىٰ تأخيرِه بغيرِ عُذر، ودليلُه حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كانَ يَكونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِن رَمَضَانَ، فَما أَسْتَطِيعُ أنْ أقْضِيَ إلَّا في شَعْبَانَ»(٢).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَيُؤْخَذُ مِنْ حِرْصِهَا عَلَىٰ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ الْقَضَاءِ حَتَّىٰ يَدْخُلَ رَمَضَانُ آخَرُ »(٣).

---

(١) [سورة النساء:١٣١].

(٢) رواه البخاري (١٩٥٠) ومسلم (١١٤٦).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤/ ١٩١).

وقد سبَقه إلىٰ ذلك ابنُ قدامة، وزاد فقال: « ولأنَّ الصومَ عبادةٌ متكررةٌ، فلم يَجُزْ تأخيرُ الأُولىٰ عن الثانيةِ، كالصلواتِ الخمسِ المفروضَةِ »(١).

وقال ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فمن دخلَ عليه شعبانُ وعليه شيءٌ من قضاءِ رمضانَ وجبَ عليه قضاؤه مع القُدرة، ولا يجوزُ له تأخيرُه إلىٰ ما بعد رمضان آخَر لغيرِ ضرورةٍ، فإنْ فعلَ ذلك وكان تأخيرُه لعذرٍ مستمرٍّ بين الرمضانين كان عليه قضاؤه بعد رمضان الثاني، ولا شيءَ عليه مع القضاء، وإنْ كان ذلك لغير عُذرٍ فقيل: يقضي ويُطعِمُ مع القضاءِ لكلِّ يومٍ مسكينًا، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ اتباعًا لآثارٍ وردتْ بذلك. وقيل: يَقضي ولا إطعامَ عليه، وهو قول أبي حنيفة »(٢).

فينبغي لكلِّ من عليه صيامٌ من الرجال والنساء أن يُبادرَ إلىٰ قضاءِ ما عليهِ من رمضانَ الفائتِ فإنَّ في الوقتِ مُتَّسَعٌ، ومن استعانَ بالله أعانه الله.

---

(١) المغني (٤/ ٤٠٠ - ٤٠١)، المجموع (٦/ ٣٦٤).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٣٤).



عباد الله: ويستحبُّ في شهر شعبانَ الإكثارُ من الصيامِ، لاسيّما في نصفه الأول، وينبغي للمسلمِ أنْ يتهيأَ نفسيًا للصيامِ والقيام والقرآن والصدقة وسائر العبادات، فإن انتظارَ العبادةِ عبادة، والتهيؤ للعبادة عبادة؛ ولذلك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثرُ من الصيامِ في شعبان، حتى قالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّىٰ نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّىٰ نَقُولَ لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»(١).

وقد قيل: في سبب استحبابِ صومِ شعبان: إنَّ صيامه كالتمرينِ علىٰ صيامِ رمضان لئلا يدخلَ في صومِ رمضانَ علىٰ مشقّة وكُلفة، بل قد تمرَّن علىٰ الصيامِ واعتادَه ووجدَ بصيامِ شعبانَ قبلَه حلاوةَ الصيامِ ولذَّتَه، فيدخل في صيامِ رمضانَ بقوةٍ ونشاط(٢).

أيها المسلمون: ومما ينبغي التذكيرُ به والإشارةُ إليه: أنَّ هذا الشهرَ تُرفُع فيه أعمالُ العام كلِّه إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كما تُرفعُ أعمالُ

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٨) ومسلم (١١٥٦).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٣٤).

اليومِ والليلةِ في الصباحِ والمساء، وأعمالُ الأسبوع في الاثنينِ والخميس، وكذلك أعمالُ السنةِ تُرفعُ في شعبان، فقد روىٰ النسائيُّ عن أسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»(١).

والمقصودُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذَكرَ عند أحاديثِ رفعِ الأعمالِ أنه يغفرُ لكل عبدٍ إلا لمشركٍ بالله أو مُشاحنٍ لعباد الله.

والشركُ - يا عبادَ الله - قد يقعُ فيه بعضُ الناس من حيثُ يشعرون أو لا يشعرون!

فلا يظنَّ ظانٌّ أن الشركَ محصورٌ في السجودِ تعبُّدًا لغيرِ الله، مع أنه من أوضحِ الشرك وأظهرِه وأشنعِه وأفجرِه، ولكن قد يقعُ بعضُ الناسِ في شركِ الخوف مثلًا، فمن يخاف الموتىٰ أنْ يضروه، أو يخافُ من الذي يُدعَون من دون الله، معتقدًا أنه لو نهىٰ عن

---

(١) أخرجه النسائي (٢٣٥٧) باختلاف يسير، وأحمد (٢١٧٥٣) مطولاً. وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٢٣٥٦).

عبادتِهم أنهم سيُلحِقون به الضررَ فإن هذا اعتقادٌ خطير، إذ جعلَ إليهم علمَ غيبٍ لا يُدركونه، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾(١).

وكذلك من توهَّم أنهم يضرون وينفعون، والنفعُ والضرُّ المطلقانِ بيدِ الله سبحانه، وهكذا يقعُ بعضُ الناسِ في شركِ المحبةِ التي تصدُّه عن دينِ الله وشرعه، وتجعله يتنازلُ عن دينِ الله سبحانَه، فيُحِبُّ غيرَ الله كحُبِّ الله أو أشدّ.

أما ما يكون من إتيانِ السحرةِ والمشعوذين والاستعانةِ بهم فإنَّ هذا من أخطرِ الذنوب وأكبرِ الموبقات. ألا فاعلموا علمني الله وإياكم: أنَّ السحرةَ والمشعوذين يضرّون ولا ينفعون، وأنَّ أعمالَهم باطلةٌ فاسدةٌ بنصِّ القرآن، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾(٣).

---

(١) [سورة النمل:٦٥].

(٢) [سورة يونس:٧٧].

(٣) [سورة البقرة:١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾[(١)].

وقوله: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ من ألفاظِ العموم، أي: في أيِّ عملٍ من الأعمال، وبأي حالٍ من الأحوال، بل قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾[(٢)].

ألا فليتقِ الله من يتعامل مع هؤلاء ولْيعلمْ أنَّه عند ذهابِه إليهم أو تواصلِه بهم فإنه يرجعُ بخسارةِ الدنيا والآخرة، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَىٰ كاهِنًا فصدَّقَهُ بما يَقولُ فقدْ كفرَ بما أُنزِلَ علَىٰ محمَّدٍ»[(٣)].

فالمسلمُ يتوكلُ علىٰ اللهِ ويعتمدُ عليه ويأخذُ بالأسبابِ التي شرَعها اللهُ وأذِنَ في الأخذِ بها، ولْيحذرْ ويُحَذِّرْ أهلَه وذويه من الذَّهابِ إلىٰ السحرةِ والمشعوذين ومن التعاملِ معهم، وقد كثروا في هذا الزمان بسببِ توفُّرِ وسائل الاتصالِ وسهولة التواصل.

---

(١) [سورة طه:٦٩].

(٢) [سورة يونس:٨١].

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في (السنن الكبرىٰ) (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (١٠١٦٧) مطولاً. عن جابر وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤٤).

والمقصودُ من ذِكرِ هذا أن يحرصَ المسلمُ علىٰ سلامةِ قلبِه من الشركِ الذي يُحبطُ الأعمالَ ويمنعُ قبولَها، فإذا كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد أخبر أنَّ «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(١).

وهذا إتيانٌ من غيرِ تصديق، فكيف بمن يذهبُ إليهم معتقدًا أنهم ينفعون أو يدفعون!

ومما ينبغي الحرصُ عليه أيضًا - في هذه الأيامِ وفي غيرِها من الأيام هو صفاءُ القلوبِ، والابتعادُ عن الشحناء فإنها داءٌ عضالٌ متواجدٌ عند كثير من المسلمين، وهي سببٌ لتأخير قبولِ الأعمالِ، وعائقٌ عن حصولِ المغفرةِ، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «يَطَّلِعُ اللهُ إلىٰ خَلْقِه ليلَ النِّصْفِ من شعبانَ فيغفِرُ لجميعِ خلقِه إلا مُشْرِكٍ أو مُشاحِنٍ»(٢).

ويشهدُ للمعنىٰ المُرادِ حديثُ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ،

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة) (٥١٢) واللفظ له، وابن حبان (٥٦٦٥)، والطبراني (٢٠/ ١٠٨) (٢١٥). وصححه الألباني في تخريج كتاب السنة (٥١٢).

فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا»(١).

وفي لفظ لمسلم: «فيُقالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّىٰ يَصْطَلِحا».

وقالَ قُتَيْبَةُ: «إِلَّا الْمُهْتَجِرَيْنِ»(٢).

فالحرصُ علىٰ سلامةِ القلوبِ من الشحناءِ سببٌ عظيمٌ من أسباب نيلِ المغفرة وقبولِ الأعمال، وهذا أمرٌ يحتاجُ إلىٰ عنايةٍ وتعاهُد.

ولا ينبغي للمسلم أن يخاصم أخاه المسلم شهورًا وأعوامًا، وأسابيع وأيامًا، بسببٍ لا يستحقُّ الخصومةَ والنزاع، ولا يؤدي إلىٰ البغضاء والانقطاع، فمن هجر أخاه بدون عذرٍ شرعي، ولا سببٍ مَرعي، فقد أتىٰ كبيرةً من كبائرِ الذنوب، لأنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ»(٣).

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥). ومعنىٰ (اركوا) أي: أخِّروا.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٥).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٠١٦) وأحمد في المسند (١٧٩٣٥) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٠٤). عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»(١).

فحظُّ النفسِ عند النزاعِ والغَضبِ مأذونٌ فيه إلىٰ ثلاثة أيام، وما زاد عن ذلك فهو من القطيعةِ المنهيِّ عنها، والدنيا فانيةٌ زائلةٌ لا ينبغي أنْ يتخاصمَ الناس عليها ولا أن يتقاطعوا لأجلِها.

ألا فاتقوا اللهَ - يا عبادَ الله - واحرِصوا علىٰ صفاءِ القلوبِ وسلامتِها، وجاهدوا أنفسَكم علىٰ تهذيبها وتنقيتِها، فإنَّ أمراضَ القلوب سببٌ للهلاك.

والحرصُ علىٰ الدنيا إذا طغىٰ علىٰ القلوبِ أفسدَها، وجعلَ المصلحةَ الدُّنيوية فوقَ المصالحِ الدينيةِ والأخويةِ، وذلك خطأٌ جسيم وميزانٌ غيرُ مستقيم.

ألا فلنستعنْ باللهِ علىٰ تصفيةِ قلوبِنا من الشحناءِ والبغضاءِ والغلِّ والحسدِ وجميعِ الأحقاد، حتىٰ ننجو ونسلمَ، كما قال

---

(١) رواه البخاري (٥٨٨٣) ومسلم (٢٥٦٠) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

تعالىٰ في كتابِه الكريم: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾(١).

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحكمة، أقولُ ما سمعتم، وأستغفرُ اللهَ إنه هو الغفور الرحيم.



(١) [سورة الشعراء:٨٨-٨٩].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ والاستعدادِ للدار الآخرة ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا.

أيها المسلمون: إنَّ مِنْ أفضلِ ما يستعدُّ به المسلمُ لمواسمِ الطاعات: التوبةَ إلىٰ اللهِ والتضرعَ إليه بأن يُعينَه علىٰ ذكرِه وشُكرِه وحُسنِ عبادته، وقد اشتُهر عن السلفِ الاستعدادُ لرمضانَ من قَبلِه بشهور، فقد كانوا يدعون اللهَ أن يُبلِّغَهم رمضان، فإذا جاء رمضانُ أقبلوا علىٰ العبادة، كما ذُكر عن بعضِ السلف أنه كان يقول: شهرُ رجبٍ شهرُ الزرع، وشعبانُ شهرُ السقي، ورمضانُ شهرُ الحَصاد، وكلٌّ يَحصُدُ ما زرَع، ويُجزىٰ ما صنَع، ومن ضيَّعَ الزراعةَ ندمَ يومَ حصادِه، وأخلفَ ظنه مع سوءِ معادِه.

وقال بعضُ الصالحين: « السَّنةُ شجرةٌ: رجب أيامُ إيراقِها، وشعبان أيامُ إثمارِها، ورمضان أيامُ قِطافِها »(١).

فينبغي لنا جميعًا أن نُجَدِّدَ العهدَ مع الله عَزَّوَجَلَّ؛ بالتوبةِ إليه سبحانه، وأنْ نكثرَ من النوافلِ ما استطعنا، فإنَّ هذا من فعلِ السلف وهديهم؛ قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ولما كان شعبانُ كالمقدمةِ لرمضان شُرع فيه ما يُشرعُ في رمضان من الصيامِ وقراءةِ القرآن لِيَحْصُلَ التأهُّبُ لتلقي رمضان، وترتاضَ النفوسُ بذلك علىٰ طاعةِ الرحمن ».

قال سلمة بن كهيل: « كان يقالُ: شهرُ شعبانَ شهرُ القُرَّاء ».

وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبانُ أغلق حانوتَه وتفرَّغ لقراءةِ القرآن.

فيا من فرَّط في الأوقات الشريفةِ وضيَّعها، وأودعها الأعمالَ السيئةَ وبئسَ ما استودعَها.

---

(١) كلا الأثرين في الغنية لطالبي طريق الحق (١/ ٣٢٦).

مضى رجبٌ وما أحسنتَ فيه ... وهذا شهرُ شعبان المباركْ
فيا من ضيَّع الأوقات جهلًا ... بِحُرمَتِها أفِقْ واحذرْ بوارَكْ
فسوفَ تُفارقُ اللذاتِ قَسرًا ... ويُخلِي الموتُ كرهًا منك دارَكْ
تَدارَكْ ما استطعتَ من الخطايا ... بتوبةِ مُخلصٍ واجعلْ مدارَكْ
على طلبِ السلامةِ من جحيمٍ ... فخيرُ ذوي الخطايا من تدارَكْ[1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾[2].

هذا وصلوا وسلموا علىٰ من أُمرتم بالصلاة والسلام عليه، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمِّرْ أعداءك أعداءَ الدين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٣٤).

(٢) [سورة النساء:٦٦-٦٨].

اللهم اجعلِ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبِنا ونورَ صدورنا وجلاءَ أحزاننا، وذهابَ همومنا وغمومِنا، اللهم ذكِّرنا منه ما نُسِّينا، وعلِّمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تِلاوتَه آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار علىٰ الوجهِ الذي يُرضيك عنا، اللهم ألبسنا به الحُللَ، وأسكِـــنَّا به الظُلَل، واجعلنا به عند الجزاءِ من الفائزين، وعند البلاءِ من الصابرين، وعند النعماءِ من الشاكرين، اللهم اجعلنا من أهلِ القرآنِ الذين هم أهلُك وخاصَّتُك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفرْ لمن حضرَ هذه الخطبةَ ولوالديه، وافتح للموعظةِ قلبَه وأُذُنيه، واجعلْ ما سمعه حجةً له لا عليه.

اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقِنا ووالدينا والمسلمين عذاب القبر والنار، برحمتك يا أرحم الراحمين.





٢ - خطبة جمعة بعنوان/

[أهميةُ الاستعانةِ باللهِ على أداء الطاعات]

الحمدُ لله الذي يُفضِّلُ ما يشاءُ من الأيام والشهور، ويُعظِّمُ ما يريدُ من الأوقاتِ والدهور.

جعلَ الاستبشارَ بمواسمِ الخيراتِ من القُرُباتِ، فله الحمدُ والصلواتُ والطيبات.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، يغفرُ السيئات، ويُكفِّرُ الخطيئات، ويضاعفُ الحسنات، ويُجزل العطيّات في مواسمِ الطاعات.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، البشيرُ بكلِّ خيرٍ، والنذيرُ من كل شرٍّ وضير، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه؛ ما رُؤيَ هِلال وسُمعَ إهلال.

يا مَنْ بِحُبِّ المصطفى يَتَعَبَّدُ ... وبِذِكرِ سيرتِهِ فؤادُك يَسْعَدُ
إنَّ الصلاةَ على النبيِّ بكثرةٍ ... فيها فضائلُ، جَهْلُها لا يُحمدُ
تُجزى بعشرٍ في مقابلِ مرةٍ ... وتُحطُّ أوزارٌ، ويُعلى مقعدُ
والذَّنْبُ يُغْفَرُ، والهموم يَحُلُّها ... ربٌ كريمٌ، بابه لا يوصَدُ
ولقد أتى في المكثرين بأنَّهم ... أولى الأنام به، فمَنْ يترددُ؟!

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله في السر والعلن، وخشيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الغيب والشهادة، فإنَّ تقوىٰ الله أزينُ ما أظهرتم، وأكرمُ ما أسررتم، وأعظمُ ما ادَّخرتم، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾(١).

عباد الله: إننا في شهرِ شبعان، ويجدُرُ بنا أن نُذَكِّر بأمور هامة تتعلَّقُ بهذه الأيامِ ومنها:

- أنَّ من كان عليه قضاءٌ من رمضانَ الفائتِ فليبادرْ إلىٰ القضاءِ في هذه الأيام، فإنَّ آخرَ مدة يُسمحُ فيها بتأخيرِ القضاءِ إليها هو شعبان، ومن دخلَ عليه رمضانُ القادمُ ولم يقضِ ما عليه من رمضانَ الفائتِ فإنَّه يأثمُ علىٰ تأخيرِه بغيرِ عُذر، ودليلُه حديث عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «كانَ يَكونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِن رَمَضَانَ، فَما أسْتَطِيعُ أنْ أقْضِيَ إلَّا في شَعْبَانَ»(٢).

---

(١) [سورة النساء:١٣١].

(٢) رواه البخاري (١٩٥٠) ومسلم (١١٤٦).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَيُؤْخَذُ مِنْ حِرْصِهَا عَلَىٰ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ الْقَضَاءِ حَتَّىٰ يَدْخُلَ رَمَضَانُ آخَرُ »[١].

وقد سبَقه إلىٰ ذلك ابنُ قدامة، وزاد فقال: « ولأنَّ الصومَ عبادةٌ متكررةٌ، فلم يَجُزْ تأخيرُ الأُولىٰ عن الثانيةِ، كالصلواتِ الخمسِ المفروضَةِ »[٢].

وقال ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فمن دخلَ عليه شعبانُ وعليه شيءٌ من قضاءِ رمضانَ وجبَ عليه قضاؤه مع القُدرة، ولا يجوزُ له تأخيرُه إلىٰ ما بعد رمضان آخَر لغيرِ ضرورةٍ، فإنْ فعلَ ذلك وكان تأخيرُه لعذرٍ مستمرٍّ بين الرمضانين كان عليه قضاؤه بعد رمضان الثاني، ولا شيءَ عليه مع القضاء، وإنْ كان ذلك لغير عُذرٍ فقيل: يقضي ويُطعِمُ مع القضاءِ لكلِّ يومٍ مسكينًا، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ اتباعًا لآثارٍ وردتْ بذلك. وقيل: يَقضي ولا إطعامَ عليه، وهو قول أبي حنيفة »[٣].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٤/ ١٩١).

(٢) المغني (٤/ ٤٠٠ - ٤٠١)، المجموع (٦/ ٣٦٤).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٣٤).

فينبغي لكلِّ من عليه صيامٌ من الرجال والنساء أن يُبادرَ إلىٰ قضاءِ ما عليهِ من رمضانَ الفائتِ فإنَّ في الوقتِ مُتَّسَعٌ، ومن استعانَ بالله أعانه الله.

عباد الله: ويستحبُّ في شهر شعبانَ الإكثارُ من الصيامِ، لاسيّما في نصفه الأول، وينبغي للمسلمِ أنْ يتهيأَ نفسيًا للصيامِ والقيام والقرآن والصدقة وسائر العبادات، فإن انتظارَ العبادةِ عبادة، والتهيؤ للعبادة عبادة؛ ولذلك كان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثرُ من الصيامِ في شعبان، حتىٰ قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّىٰ نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّىٰ نَقُولَ لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»(١).

وقد قيل: في سبب استحبابِ صومِ شعبان: إنَّ صيامه كالتمرينِ علىٰ صيامِ رمضان لئلا يدخلَ في صومِ رمضانَ علىٰ مشقَّة وكُلفة، بل قد تمرَّن علىٰ الصيامِ واعتادَه ووجدَ بصيامِ شعبانَ قبلَه حلاوةَ الصيامِ ولذَّتَه، فيدخل في صيامِ رمضانَ بقوةٍ ونشاط(٢).

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٨) ومسلم (١١٥٦).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٣٤).

أيها المسلمون: ومما ينبغي التذكيرُ به والإشارةُ إليه: أنَّ هذا الشهرَ تُرفُع فيه أعمالُ العام كلِّه إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كما تُرفعُ أعمالُ اليومِ والليلةِ في الصباحِ والمساء، وأعمالُ الأسبوع في الاثنينِ والخميس، وكذلك أعمالُ السنةِ تُرفعُ في شعبان، فقد روىٰ النسائيُّ عن أسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»(١).

والمقصودُ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ عند أحاديثِ رفعِ الأعمالِ أنه يغفرُ لكل عبدٍ إلا لمشركٍ بالله أو مُشاحنٍ لعباد الله.

والشركُ - يا عبادَ الله - قد يقعُ فيه بعضُ الناس من حيثُ يشعرون أو لا يشعرون!

فلا يظنَّ ظانٌّ أن الشركَ محصورٌ في السجودِ تعبُّدًا لغيرِ الله، مع أنه من أوضحِ الشرك وأظهرِه وأشنعِه وأفجرِه، ولكن قد يقعُ بعضُ

---

(١) أخرجه النسائي (٢٣٥٧) باختلاف يسير، وأحمد (٢١٧٥٣) مطولاً. وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٢٣٥٦).

الناسِ في شركِ الخوف مثلًا، فمن يخاف الموتىٰ أنْ يضروه، أو يخافُ من الذي يُدعَون من دون الله، معتقدًا أنه لو نهىٰ عن عبادتِهم أنهم سيُلحِقون به الضررَ فإن هذا اعتقادٌ خطير، إذ جعلَ إليهم علمَ غيبٍ لا يُدركونه، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾[1].

وكذلك من توهَّم أنهم يضرون وينفعون، والنفعُ والضرُّ المطلقانِ بيدِ الله سبحانه، وهكذا يقعُ بعضُ الناسِ في شركِ المحبةِ التي تصدُّه عن دينِ الله وشرعه، وتجعله يتنازلُ عن دينِ الله سبحانَه، فيُحِبُّ غيرَ الله كحُبِّ الله أو أشدّ.

أما ما يكون من إتيانِ السحرةِ والمشعوذين والاستعانةِ بهم فإنَّ هذا من أخطرِ الذنوب وأكبرِ الموبقات. ألا فاعلموا علمني الله وإياكم: أنَّ السحرةَ والمشعوذين يضرّون ولا ينفعون، وأنَّ أعمالَهم باطلةٌ فاسدةٌ بنصِّ القرآن، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾[2]، وقال تعالىٰ:

---

(١) [سورة النمل:٦٥].

(٢) [سورة يونس:٧٧].

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾(٢)، وقوله: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ من ألفاظِ العموم، أي: في أيِّ عملٍ من الأعمال، وبأي حالٍ من الأحوال، بل قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾(٣).

ألا فليتقِ الله من يتعامل مع هؤلاء ولْيعلمْ أنَّه عند ذهابِه إليهم أو تواصلِه بهم فإنه يرجعُ بخسارةِ الدنيا والآخرة، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَىٰ كاهِنًا فصدَّقَهُ بما يَقولُ فقدْ كفرَ بما أُنزِلَ علَىٰ محمَّدٍ»(٤).

فالمسلمُ يتوكلُ علىٰ اللهِ ويعتمدُ عليه ويأخذُ بالأسبابِ التي شرَعها اللهُ وأذِنَ في الأخذِ بها، ولْيحذرْ ويُحَذِّرْ أهلَه وذويه من الذَّهابِ إلىٰ السحرةِ والمشعوذين ومن التعاملِ معهم، وقد كثروا في هذا الزمان بسببِ توفرِ وسائل الاتصالِ وسهولة التواصل.

---

(١) [سورة البقرة:١٠٢].

(٢) [سورة طه:٦٩].

(٣) [سورة يونس:٨١].

(٤) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في (السنن الكبرىٰ) (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (١٠١٦٧) مطولاً. عن جابر وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤٤).



والمقصودُ من ذِكرِ هذا أن يحرصَ المسلمُ علىٰ سلامةِ قلبِه من الشركِ الذي يُحبطُ الأعمالَ ويمنعُ قبولَها، فإذا كان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أنَّ «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[١].

وهذا إتيانٌ من غيرِ تصديق، فكيف بمن يذهبُ إليهم معتقدًا أنهم ينفعون أو يدفعون!

ومما ينبغي الحرصُ عليه أيضًا - في هذه الأيامِ وفي غيرِها من الأيام هو صفاءُ القلوبِ، والابتعادُ عن الشحناء فإنها داءٌ عضالٌ متواجدٌ عند كثير من المسلمين، وهي سببٌ لتأخير قبولِ الأعمالِ، وعائقٌ عن حصولِ المغفرةِ، قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطَّلِعُ اللهُ إلىٰ خَلْقِه ليلَ النِّصْفِ من شعبانَ فيغفِرُ لجميعِ خلقِه إلا مُشْرِكٍ أو مُشاحِنٍ»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة) (٥١٢) واللفظ له، وابن حبان (٥٦٦٥)، والطبراني (٢٠/ ١٠٨) (٢١٥). وصححه الألباني في تخريج كتاب السنة (٥١٢).

ويشهدُ للمعنىٰ المُرادِ حديثُ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا**»(١).

وفي لفظ لمسلم: «**فيُقالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّىٰ يَصْطَلِحا**».

وقالَ قُتَيْبَةُ: «**إِلَّا الْمُهْتَجِرَيْن**»(٢).

فالحرصُ علىٰ سلامةِ القلوبِ من الشحناءِ سببٌ عظيمٌ من أسباب نيلِ المغفرة وقبولِ الأعمال، وهذا أمرٌ يحتاجُ إلىٰ عنايةٍ وتعاهُد.

ولا ينبغي للمسلم أن يخاصم أخاه المسلم شهورًا وأعوامًا، وأسابيع وأيامًا، بسببٍ لا يستحقُّ الخصومةَ والنزاع، ولا يؤدي إلىٰ البغضاء والانقطاع، فمن هجر أخاه بدون عذرٍ شرعي،

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥). ومعنىٰ (اركوا) أي: أخِّروا.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٥).

ولا سببٍ مَرعي، فقد أتىٰ كبيرةً من كبائرِ الذنوب، لأنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ**»(١).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»(٢).

فحظُّ النفسِ عند النزاعِ والغَضبِ مأذونٌ فيه إلىٰ ثلاثة أيام، وما زاد عن ذلك فهو من القطيعةِ المنهيِّ عنها، والدنيا فانيةٌ زائلةٌ لا ينبغي أنْ يتخاصمَ الناس عليها ولا أن يتقاطعوا لأجلِها.

ألا فاتقوا اللهَ - يا عبادَ الله - واحرِصوا علىٰ صفاءِ القلوبِ وسلامتِها، وجاهدوا أنفسَكم علىٰ تهذيبها وتنقيتِها، فإنَّ أمراضَ القلوب سببٌ للهلاك.

والحرصُ علىٰ الدنيا إذا طغىٰ علىٰ القلوبِ أفسدَها، وجعلَ المصلحةَ الدُّنيوية فوقَ المصالحِ الدينيةِ والأخويةِ، وذلك خطأٌ جسيم وميزانٌ غيرُ مستقيم.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٠١٦) وأحمد في المسند (١٧٩٣٥) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٠٤). عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٥٨٨٣) ومسلم (٢٥٦٠) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ألا فلنستعنْ باللهِ علىٰ تصفيةِ قلوبِنا من الشحناءِ والبغضاءِ والغلِّ والحسدِ وجميعِ الأحقاد، حتىٰ ننجو ونسلمَ، كما قال تعالىٰ في كتابِه الكريم: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾[1].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحكمة، أقولُ ما سمعتم، وأستغفرُ اللهَ إنه هو الغفور الرحيم.



(١) [سورة الشعراء:٨٨-٨٩].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبْغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ والاستعدادِ للدار الآخرة ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا.

أيها المسلمون: إنَّ مِنْ أفضلِ ما يستعدُّ به المسلمُ لمواسمِ الطاعات: التوبةَ إلىٰ اللهِ والتضرعَ إليه بأن يُعينَه علىٰ ذكرِه وشُكرِه وحُسنِ عبادته، وقد اشتُهر عن السلفِ الاستعدادُ لرمضانَ من قَبلِه بشهور، فقد كانوا يدعون اللهَ أن يُبلِّغَهم رمضان، فإذا جاء رمضانُ أقبلوا علىٰ العبادة، كما ذُكر عن بعضِ السلف أنه كان يقول: شهرُ رجبٍ شهرُ الزرع، وشعبانُ شهرُ السقي، ورمضانُ شهرُ الحَصاد، وكلٌّ يَحصُدُ ما زرَع، ويُجزىٰ ما صنَع، ومن ضيَّعَ الزراعةَ ندمَ يومَ حصادِه، وأخلفَ ظنه مع سوءِ معادِه.

وقال بعضُ الصالحين: « السَّنةُ شجرةٌ: رجب أيامُ إيراقِها، وشعبان أيامُ إثمارِها، ورمضان أيامُ قِطافِها »[١].

فينبغي لنا جميعًا أن نُجَدِّدَ العهدَ مع الله عَزَّوَجَلَّ؛ بالتوبةِ إليه سبحانه، وأنْ نكثرَ من النوافلِ ما استطعنا، فإنَّ هذا من فعلِ السلف وهديهم؛ قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ولما كان شعبانُ كالمقدمةِ لرمضان شُرع فيه ما يُشرعُ في رمضان من الصيامِ وقراءةِ القرآن لِيَحْصُلَ التأهُّبُ لتلقي رمضان، وترتاضَ النفوسُ بذلك علىٰ طاعةِ الرحمن ».

قال سلمة بن كهيل: « كان يقالُ: شهرُ شعبانَ شهرُ القُرَّاء ».

وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبانُ أغلق حانوتَه وتفرَّغ لقراءةِ القرآن.

فيا من فرَّط في الأوقات الشريفةِ وضيَّعها، وأودعها الأعمالَ السيئةَ وبئسَ ما استودعَها.

---

(١) كلا الأثرين في الغنية لطالبي طريق الحق (١/ ٣٢٦).

مضى رجبٌ وما أحسنتَ فيه — وهذا شهرُ شعبانَ المباركْ
فيا من ضيَّع الأوقاتَ جهلاً — بحُرمَتِها أفِقْ واحذرْ بوارَكْ
فسوفَ تُفارقُ اللذاتِ قسرًا — ويُخلِي الموتُ كرهًا منك دارَكْ
تَدارَكْ ما استطعتَ من الخطايا — بتوبةِ مُخلصٍ واجعلْ مدارَكْ
على طلبِ السلامةِ من جحيمٍ — فخيرُ ذوي الخطايا من تدارَكْ[1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨﴾[2].

هذا وصلوا وسلموا على من أُمرتم بالصلاة والسلام عليه، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمِّرْ أعداءكَ أعداءَ الدين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٣٤).

(٢) [سورة النساء:٦٦-٦٨].

اللهم اجعلِ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبِنا ونورَ صدورنا وجلاءَ أحزاننا، وذهابَ همومنا وغمومِنا، اللهم ذكِّرنا منه ما نُسِّينا، وعلِّمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تِلاوتَه آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار علىٰ الوجهِ الذي يُرضيك عنا، اللهم ألبسنا به الحُلَلَ، وأسكِنَّا به الظُلَل، واجعلنا به عند الجزاءِ من الفائزين، وعند البلاءِ من الصابرين، وعند النعماءِ من الشاكرين، اللهم اجعلنا من أهلِ القرآنِ الذين هم أهلُك وخاصَّتُك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفرْ لمن حضرَ هذه الخطبةَ ولوالديه، وافتح للموعظةِ قلبَه وأُذُنيه، واجعلْ ما سمعه حجةً له لا عليه.

اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقِنا ووالدينا والمسلمين عذاب القبر والنار، برحمتك يا أرحم الراحمين.







٣ - خطبة جمعة بعنوان/

[استبشارُ أهل الإيمان بقدوم شهر رمضان]

الحمدُ لله الذي يُفضِّلُ ما يشاءُ من الأيام والشهور، ويُعظِّمُ ما يريدُ من الأوقاتِ والدهور.

جعلَ الاستبشارَ بمواسمِ الخيراتِ من القُرُباتِ، فله الحمدُ والصلواتُ والطيبات.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، يغفرُ السيئات، ويُكفِّرُ الخطيئات، ويضاعفُ الحسنات، ويُجزل العطيّات في مواسمِ الطاعات.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، البشيرُ بكلِّ خيرٍ، والنذيرُ من كل شرٍّ وضير، صلواتُ الله وسلامه عليه؛ ما رُؤيَ هِلال وسُمعَ إهلال.

يا مَنْ بِحُبِّ المصطفى يَتَعَبَّدُ ... وبِذِكرِ سيرتِهِ فؤادُكَ يَسْعَدُ

إنَّ الصلاةَ على النبيِّ بكثرةٍ ... فيها فضائلُ، جَهْلُها لا يُحمدُ

تُجزى بعشرٍ في مقابلِ مرةٍ ... وتُحطُّ أوزارٌ، ويُعلى مقعدُ

والـذَّنْبُ يُغْفَـرُ، والهمـومُ يَحُلُّهـا ... ربٌّ كـريمٌ، بابُـه لا يوصَـدُ
ولقـد أتـى في المكثـرين بـأنَّهم ... أولى الأنـامِ بـه، فمَـنْ يـتردَّدُ؟!

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السِّرِّ والعلَن؛

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾(١). مَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَىٰ، ولَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا، و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾(٢).

أيها المسلمون عبادَ الله: إنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يُبشِّرُ أصحابَهُ بقدومِ رمضان، ويبيِّنُ ما في قدومِه من الخيرِ والإحسان، علىٰ أهل الطاعة والإيمان، وتيسيرِ التوبة من الخطيئات والعِصيان؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُبشِّرُ أصحابَه بقدومِ رمضان، يقول: «**قد جاءكم شهرُ رمضان، شهرٌ مباركٌ، كُتِبَ عليكم صيامُه، تُفتحُ فيه أبوابُ**

(١) [آل عمران: ١٠٢].
(٢) [سورة الأنعام: ١٣٤].

السماء، وتُغلق فيه أبوابُ الجحيم، وتُغلُّ فيه الشياطين، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، من حُرم خيرَها فقد حُرِم الخيرَ الكثيرَ»(١).

ويَستبشرُ المؤمنون بهذا الشهر لأنَّ فيه يعظمُ الرجاء بنيلِ مغفرةِ الله سبحانه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذنبه»(٢). قال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: « وَالْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ: الِاعْتِقَادُ بِحَقِّ فَرْضِيَّةِ صَوْمِهِ، وَبِالِاحْتِسَابِ: طَلَبُ الثَّوَابِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «احْتِسَابًا» أَيْ: عَزِيمَةً، وَهُوَ أَنْ يَصُومَهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الرَّغْبَةِ فِي ثَوَابِهِ، طَيِّبَةً نَفْسُهُ بِذَلِكَ، غَيْرَ مُسْتَثْقِلٍ لِصِيَامِهِ وَلَا مُسْتَطِيلٍ لِأَيَّامِهِ »(٣).

ويستبشرُ المؤمنون بقدومِ رمضان لأن لله فيه عتقاءَ من النار في كلِّ ليلةٍ من لياليه؛ فعَنْ جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»(٤).

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٢٩) رقم (٢١٠٦) وأحمد (٨٩٩١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٩٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤/ ١١٥).

(٤) رواه أحمد (٢١٦٩٨) وابن ماجه (١٦٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٧٠).

ويستبشرُ المؤمنون بقدوم رمضان لأنه سبب لتكفيرِ السيئات، وحطِّ الخطيئات؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»(١).

ويَستبشرُ المؤمنون بقدوم شهرِ رمضانَ لأنه شهرٌ يُكبَّلُ فيه الشيطانُ ويقيّد، وتحبسُ مردةُ الجنِّ وتُصفَّد؛ فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ»(٢).

وهو شهر يُيسر الله فيه فعلَ الخيرات، ويُعين علىٰ تركِ المعاصي والمحرمات؛ ولذلك قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وينادي منادٍ كلَّ ليلةٍ: يا باغيَ الخيرِ هَلُمَّ، ويا باغيَ الشَّرِّ أقصِرْ»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٩٩٨).

(٣) أخرجه النسائي (٢١٠٧) واللفظ له، والطبراني (١٧/ ١٣٢) (٣٢٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٠٦) من حديث عتبة بن فرقد السلمي، وصححه لغيره الألباني في صحيح النسائي (٢١٠٦).

أتــى رمضــانُ مزرعــةُ العبــادِ ... لــتطهيرِ القلــوبِ مِــنَ الفســادِ

فــأدِّ حقوقَــهُ قــولاً وفعــلاً ... وزادَك فاتخـــذهُ للمعـــادِ

فمَــنْ زرعَ الحُبــوبَ ومــا سَــقَاها ... تَــأوَّهَ نادمًــا يــومَ الحَصَــادِ

ومما يزيدُ المسلمين فرحًا بهذا الشهرِ؛ أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعدَ الصائمين بالثواب الجزيل، والأجر الكثير غيرِ القليل، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»(١).

وكيف لا يفرحُ المسلمون بقدوم شهرِ رمضان، وفيه الفرصةُ السانِحة، والصفقةُ الربانيةُ الرابحة، للتزوُّد للدار الآخرة بالأعمال الصالحة؛

شــهرٌ يفــوقُ علــى الشــهورِ بليلــةٍ ... مــن ألــفِ شــهرٍ فُضّــلت تفضــيلاً

طــوبى لعبــدٍ صـــحّ فيــه صيامُهُ ... ودعــا المُهـــيمنَ بُكــرةً وأصــيلاً

وبليلِــهِ قــد قــامَ يختـــمُ وِردَهُ ... مُتَبـــــتّلاً لإلـــهه تَــبتيلاً

---

(١) رواه مسلم (١١٥١).

وإنَّ مما يدعو للبِشرِ والفرحِ بقدومِ رمضان أنَّ الله يُكرم الصائمين في الجنة ببابٍ منه يدخلون، وعلىٰ أبوابه يناديهمُ المنادُون، فإذا دخل آخر الصائمين أُغلق ذلك الباب: عَنْ سَهْلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ، فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد**»(١). فما أعظمَ هذا الإكرام، وما أجزلَ ذلك الإنعام.

فالبِدار البِدار إلىٰ فضلِ اللهِ الممنوح، قبل فواتِ الروح، وأجهِدوا أنفسَكم أن يكون عهدُ التوانِي منسوخًا، وزمنُ التسويفِ مفسوخًا.

وفي مأثورِ الحِكَم: « من أَشدِّ الغُصَص؛ فواتُ الفُرص، ومن أَخلدَ للتواني؛ حَصدَ الأوهامَ والأماني ».

---

(١) رواه البخاري (١٧٩٧) ومسلم (١١٥٢).

ومن شمَّر عن ساعدِ العبادة والجِدِّ؛ انصرفَ بمديدِ الفوز والجَدِّ.

يا أمتي! استقبِلوا شهرًا بروحِ تُقًى	وتوبةِ الصدقِ فالتأخيرُ إغواءُ
توبوا إلى ربِّكمْ فالذنبُ داهيةٌ	ذلَّتْ به أُمَمٌ واحتلَّها الداءُ

ألا فاتقوا الله – عباد الله –، واستقبِلوا شهرَكمْ بالاغتِباطِ والاستبشار، وكثرةِ التوبةِ والاستغفار؛ فقد كان المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبشِّر أصحابَه بقدوم شهر رمضان، وما ذاك إلا تهيِئةً للنفوس، وشحذًا للهِمَم، وتقويةً للعزائم عن الفُتور والنُّكُوص، فهنيئًا لأمتنا الإسلامية بحُلول شهر الصيام، ويا بُشرىٰ لها بموسمِ الرحمةِ والغفرانِ، والعتقِ من النيران، وبارَكَ الله لها في أيامِه الغُرِّ ولياليه الزُّهْر، وأصلَحَ فيه أحوالَها، وحقنَ دماءَها، وحقَّق وحدتَها، وجمعَ كلمتَها علىٰ الحق والهُدىٰ، إنه جوادٌ كريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ الباهِرات والحِكَم المُنيفة. أقول قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولكم، وللمسلمين والمسلمات، من جميع الآثام والخطيئات، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه كان للأوابين غفورًا.



(١) [سورة البقرة: ١٨٥].



الخطبة الثانية

الحمد لله الذي رفعَ لشهرِ الصيامِ قَـدْرًا، وحثَّنا علىٰ تحقيقِ مقاصِده الكُبرىٰ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، أجرَىٰ في شهر الصيام من البركات ما أجرىٰ، وأشهدُ أن نبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه أكرمُ العبادِ قدرًا، وأرفعُهم ذِكرًا، صلَّىٰ الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلىٰ آلِه وصحبِه البالغين من الخيرِ فضلاً عظيمًا وأجرًا، والتابعينَ ومن تبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فكما يفرح الصائمون بالفِطرِ في الدنيا فإنهم يفرحون عندما يَجدون أجرَ الصيام في الأخرىٰ، فـقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»[(١)].

فأهلاً بشهر التُّقى والجُود والكرَمِ ... شهر الصيامِ رفيعِ القدر في الأُممِ

نفوسُ أهلِ التُّقَى في حبِّكم غرِقَت ... وهزَّها الشوقُ، شوقُ المُصلِحِ العلِمِ

---

(١) رواه البخاري (١٨٠٥) ومسلم (١١٥١).

عبادَ الله : هذه مواسمُ الخيرات قد أقبَلَت، وهذه أوقاتُ الفضل قد دخلَت، وأبوابُ الجنة في رمضان فُتِّحَت، وأبوابُ النار أُغلِقَت، والشرورُ قد طُفِئَت، فاتقوا الله – عباد الله –، واستلهِموا التوفيقَ لشهر الصيام، واغتنِموا أيامَه وليالِيَه الكِرام؛ تفوزوا بمرضاةِ الملكِ العلَّام.

وتذكَّروا رحيل من رحل عن الحياة، لو سُئل أحدهم عن أحبِّ شيءٍ إليه، وأمَنِّ طلبٍ عليه، لَمَا طلب غيرَ العودةِ إلىٰ الدنيا، لعمَلِ الصالحات، واغتنامِ الأوقات الفاضلات، فلنحرصْ علىٰ اغتنامِ الأوقات بالطاعات، ولْنَحذرْ المُلهياتِ وأنواعَ المُغرِياتِ، قبلَ حلولِ الندمِ والحسرات.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أذِلَّ الكفر والكافرين، اللهم أبطِل كيدَ أعداء الإسلام يا رب العالمين. اللهم ألِّف بين قلوبِ المسلمين، وأصلِح ذاتَ بينِهم يا ربَّ العالمين، اللهم احقِنْ دماءَ المسلمين، اللهم احفظْ للمسلمين دينَهم وأعراضَهم ودماءَهم وأموالَهم يا ربَّ العالمين، اللهم استُرْ عوراتِنا وآمِنْ



روعاتِنا يا أرحم الراحمين. اللهم أعِذنا من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، وأعِذنا من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ يا رب العالمين، نَدرأُ بك في نحرِ كل ذي شرٍّ يا رب العالمين، إنك علىٰ كل شيءٍ قدير.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام أعِنَّا علىٰ صيامِ شهر رمضان وقِيامِه، اللهم أعِنَّا علىٰ صيامِ شهر رمضانَ وقيامِهِ يا رب العالمين.

اللهم تقبَّلْ منا إنك أنت السميعُ العليم، اللهم أحسِنْ عاقبتنا في الأمورِ كلِّها، وأجِرْنا من خِزي الدنيا وعذابِ الآخرة برحمتك يا أرحمَ الراحمين. والحمدُ لله رب العالمين.



٤ - خطبة جمعة بعنوان/

[العناية بالقرآن في رمضان وسائر الأزمان]

الحمدُ لله الذي أنزلَ القرآنَ في شهرِ رمضان، هُدىً للناس وبيناتٍ من الهدىٰ والفُرقان، أحمدُه ما تُليت الآيات، وقُلِّبَتِ الصَّفَحات.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، أنزل إلينا القرآنَ العزيز، وَعَدَ فيه وبَشَّر، وأَوْعَد وحذَّر، ونهىٰ وأمَر، وأكملَ فيه الدِّين، وجعله الوسيلةَ الناجحةَ والحبلَ المتين، ويسَّرَه للذِّكر، وخلَّدَه غابر الدَّهر، عِصمةً للمعتصمين، ونورًا صادعًا في مُشكلاتِ المُختصِمين، وحُجّةً قائمةً علىٰ العالَم، ودعوةً شاملةً لِفِرَق بني آدم، كلامُه الذي أعجزَ الفُصَحاء، وأخرسَ البُلَغاء، وشرَّف العُلماء، له الحمدُ دائبًا، وله الشكرُ واصبًا، لا إله إلا هو ربُّ العرشِ العظيم.

وأشهدُ أنَّ محمدً عبدُه ورسوله، أحسنُ الناس تلاوةً وصوتًا، وأرفعُهم ذِكرًا وصِيتًا، كان جبريلُ يُدارسه القرآن، في كلِّ ليلةٍ من رمضان، فصلواتُ الله وسلامه عليه؛ ما همَرَ رُكامٌ، وهدَرَ حَمامٌ، وسرَحَ سَوامٌ، وسَطا حُسامٌ.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والخروجِ من هذا الشهر المبارك بأكبرِ قدرٍ ممكنٍ من الأعمالِ الصالحةِ التي تُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ألا وإنَّ من أحسنِ الطُـرُقِ المؤديةِ إلىٰ نيلِ مرضاةِ الله عَزَّوَجَلَّ، والفوزِ بمحبتِه سبحانه، هي العنايةُ بكتابِه الكريم؛ فإنَّ اللهَ قد ضمِـنَ لأهلِ القرآنِ بالربحِ المُنافي للخسارة، والزيادةِ المُنافيةِ للنقصان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾(١).

---

(١) [فاطر: ٢٩].

ثم ثنَّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ هذا الوعدَ بقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾[(١)].

ثم أخبرَ تعالىٰ باسمين من أسمائه المُتَضَمِّنَـين لِصفتينِ من صفاتِه مع هؤلاء، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ أي: غفورٌ لذنوبِهِم، شكورٌ لهم؛ يُكرمُهم ويُثيبهم علىٰ القليل من أعمالِهم ويقبلُها منهم.

وبيَّنَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخيريَّةَ مع أهلِ القرآن: «**خَيْرُكُمْ مَن تَعلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ**»[(٢)]. وأنَّ الرِّفعةَ في العنايةِ بالقرآن: «**إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ**»[(٣)].

وأنَّ الأهليَّةَ من اللهِ تُنالُ بالقرآن: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالَ: قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ**»[(٤)].

---

(١) [فاطر: ٣٠].

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٧) عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه أحمد في المسند (١٢٢٩٢) وابن ماجه (٢١٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٣٢) والوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٧٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأنَّ القرآنَ يَشفعُ لأصحابه: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ»، قَالَ: «فَيُشَفَّعَانِ»(١).

ودرجاتُ أهلِ القرآنِ أرفعُ من غيرهم في الجنة: عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: «مَا فَضْلُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَقْرَأْهُ مِمَّنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ عَدَدَ دَرَجِ الْجَنَّةِ عَلَىٰ عَدَدِ آيِ الْقُرْآنِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِمَّنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَفْضَلَ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ»(٢). وعن أبي شُريحٍ الخُزاعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ الله وطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلَكُوا ولَنْ تَضِلُّوا بعدَهُ أبداً»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٦٦٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه البيهقي في الشعب (١٩٩٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٧٣) وصحيح الجامع (٣٨٨٢) والمشكاة (١٩٦٣).

(٢) فضائل القرآن – أبو عبيد (ص/ ٨٦). ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٩٥٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٦٢٨)، وابن حبان (١٢٢)، والطبراني (٢٢/ ١٨٨) (٤٩١). وحسنه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١٢٣١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ هَدَاهُ اللهُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَوَقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُوءَ الْحِسَابِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾(١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «فَضَمِنَ اللهُ لِمَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الآخرة»(٢).

وَقَالَ اللَّيْثُ بنُ سعدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يُقَالُ: مَا الرَّحْمَةُ إِلَى أَحَدٍ بِأَسْرَعَ مِنْهَا إِلَى مُسْتَمِعِ الْقُرْآنِ، لِقَوْلِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾(٣). وَ [لَعَلَّ] مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ»(٤).

بل رُوِيَ عن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: «مَنْ سَمِعَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تُتْلَى كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥).

---

(١) [طه: ١٢٣].
(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩).
(٣) [الأعراف: ٢٠٤].
(٤) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩).
(٥) فضائل القرآن - أبو عبيد (ص/ ٦٢).

عباد الله :

إننا في شهرِ القرآن، وللعنايةِ بالقرآنِ في هذا الشهرِ مزيةٌ وفضيلة، فقد كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدارِسُه جبريلُ القرآنَ في كلِّ ليلةٍ من رمضان، حتىٰ ينسلخَ رمضان. قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ: فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كَانَ أَجْوَدَ بالخير من الريح المرسلة»[(١)].

فينبغي لنا جميعًا أنْ نُقبِلَ علىٰ كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، وأنْ نُكثِرَ من قراءتِه وتدبُّرِ آياتِه، وأنْ لا نجعلَ للشيطانِ علينا مَدخَلًا، ولا إلينا سبيلًا في التثبيطِ عن قراءةِ القرآن، فإنَّ بعضَ الناسِ قد يتركُ قراءة القرآن بحجةِ أنه لا يتدبرُ إذا قرأ، فيترك القراءةَ بالكليةِ مع التدبُّر!

---

(١) رواه البخاري (١٨٠٣) وأحمد (٣٤٢٥) وغيرهما.

والقولُ الحقُّ؛ أنَّ القراءةَ ولو من غيرِ تدبُّرٍ أفضلُ مِنْ تَرْكِ القراءة بالكلية، والقراءة مع التدبُّر أفضل من القراءة بدون تدبُّر، والقراءة مع التدبُّر والعمل بما فيه أفضل من القراءة بدون عمل، فإذا لم يتوفَّرْ للمسلمِ كلُّ ذلك فليأخذْ ما يستطيعُ، وأَقــلّه: أن يقرأَ كتابَ الله سبحانه.

ومن قرأ كتابَ الله نالتهُ البركةُ بإذن الله، لقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾(١). فإنَّ بركته لمن قرأه شاملةٌ لأمور حياتِه وصحتِه ورزقِه وسمعِه وبصرِه وعقلِه وأهلِ بيته ووقتِه وأعمالِه.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ الْبَيْتُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ شَيءٌ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ شَيءٌ خَرِبٌ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا عَامِرَ لَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ يَسْمَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِيهِ»(٢).

---

(١) [سورة ص: ٢٩].

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥٩٩٨) والمعجم الكبير للطبراني (٨٦٤٢).

وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إِنَّ الْبَيْتَ لَيَتَّسِعُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَتَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيَضِيقُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَيَقِلُّ خَيْرُهُ أَنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ»(١).

ألا يا عباد الله: فلنجعلْ من هذه الأيامِ المباركةِ موسِمًا لتغييرِ حياتِنا مع القرآن وتدارُك تقصيرِنا نحوَ كتابِ الله جَلَّ وَعَلَا، فإنَّ من اعتنىٰ بكتابِ الله نالَ أهليةَ الله ومحبَّتَه، فالقرآنُ كلامُ الله، وهو سبحانه يُحبُّ من يُعظِّمُ كلامَه ويعتني به.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(٢).

أقولُ ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سنن الدارمي (٣٤١٢).

(٢) [البقرة: ١٨٥].



الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فإنَّ من أرادَ الفلاحَ والنجاح، والطُّمأنينةَ والانشراحَ، والنجاةَ في الدنيا والآخرة، فليُقبلْ علىٰ كتابِ اللهِ سبحانه، إقبالًا يَبتغي به مرضاةَ الله عَزَّوَجَلَّ، وليجعلْ للقرآنِ من وقتِه قَـدرًا كافيـًا، ونصيبًا وافيـًا، للقراءةِ والتدبُّر والتعلُّمِ والتعليمِ، فإنَّه بذلك يسعدُ في الدنيا ويُؤَمَّنُ من الخوفِ في أرضِ المحشر؛ فإن العبدَ إذا فُتِح عليه قبرُه يومَ القيامة وكان من أهلِ القرآنِ تلقَّاه القرآنُ أنيسًا مُطَمْئنًا، وخليلًا مُؤَمِّنًا؛ عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَىٰ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ. فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ

وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَىٰ وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا»(١).

وفي الحديثِ الصحيحِ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»**(٢).

ثم اعلموا - رحمكم الله - أنَّ الله تعالىٰ أمرَنا بأمرٍ، بدأ فيه بنفسِه، ثمّ ثنَّىٰ بالملائكة المسبحة بقُدسِه، ثم بالمؤمنين من جِنِّه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٩٥٠) والدارمي في السنن (٣٤٣٤) وابن ماجه مختصرا (٣٧٨١) وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٢) والألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٦٣). وقال شعيب في تخريج المسند (٢٢٩٥٠): إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

(٢) رواه البخاري (٤٦٥٣) ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وإنسِه، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾(١). اللهم صلِّ وسلم علىٰ عبدِك ورسولك محمد النبيِّ الأوفىٰ، وارضَ اللهُـمَّ عن الأربعة الخُلفا، والسادةِ الحُـنفا، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابةِ أهلِ الصدقِ والوفا، وعن التابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ ولطريقَـتِهمُ اقتفىٰ، وعنَّا معهم بعفوكَ وكرمك وإحسانك يا خيرَ من تجاوز وعفا.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، واحمِ حوزة الدين، واجعلْ هذا البلدَ آمنا مُطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين يا رب العالمين. اللهم اقمعْ أهلَ الشركِ والريبِ والفساد، وانشرْ رحمتكَ علىٰ العباد، يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾(٢)

---

(١) [الأحزاب: ٥٦].

(٢) [الصافات: ١٨٠-١٨٢].





٥ - خطبة جمعة بعنوان/

[فضلُ الجودِ في رمضان وسائر الأزمان]

الحمد للهِ الكريمِ الجواد، الذي عمَّ بجودِه جميعَ العِباد، أحمدُهُ ما جرَتِ الأقلامُ بالمِداد.

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ الكريمُ الوهاب، وعدَ المُنفقين بالخلَفِ والثواب، ويرزقُ من يشاء بغيرِ حساب.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أطيبُ الخلق نَفْسًا، وأصوبُهم رأيًا وحَدسًا، وألطفُهم شعورًا وحِسًّا، وأكثرُهم لمن حولَه إسعادًا وأُنسًا.

صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله الكرماء، وأصحابه الرحماء، صلاة مستمرة الدوام، جديدةً علىٰ مرِّ الليالي والأيام.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله في السرِّ والعلَن، والبذلِ في الخيرِ قبل مفارقةِ الروحِ للبدن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾(١).

أيها المسلمون عبادَ الله: إن شهرَ رمضان شهرُ الجود والإنفاق، والمغفرةِ والإعتاق، شهرُ البذلِ للأموالِ وحُسنِ الأخلاق، شهر الجود علىٰ ذوي الفقرِ والإملاق.

يتسابقُ الصالحون في هذا الشهرِ علىٰ فعلِ الخيرات، ويَحرِصُ المُؤمنون علىٰ الإكثارِ من القُرُبات، يرجونَ مرضاةَ ربِّ الأرضِ والسماوات.

وإنَّ الجودَ من صفاتِ الله سبحانه، واللهُ يُحبُّ مِنْ عبادِه أن يتَّصفوا بالجود: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا**(٢)»(٣).

---

(١) [سورة الحشر: ١٨].

(٢) السَّفْسَاف: الأمرُ الحقيرُ والرديء من كل شيء، وهو ضدُّ المعالِي والمكارِم، وأصله: ما يَطير من غُبارِ الدِّقيق إذا نُخِلَ، والتُّرابِ إذا أُثِير. النهاية في غريب الأثر - (ج ٢ / ص ٩٤٣).

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٤) والصحيحة (١٣٧٨).

وفي الأثر المشهور عن فضيلِ بن عياض قال: « مَا مِنْ لَيْلَةٍ اخْتَلَطَ ظَلَامُهَا وَأَرْخَىٰ اللَّيْلُ سِرْبَالَ سِتْرِهَا إِلَّا نَادَىٰ الْجَلِيلُ جَلَّجَلَالُهُ: مَنْ أَعْظَمُ مِنِّي جُودًا، وَالْخَلَائِقُ لِي عَاصُونَ وَأَنَا لَهُمْ مُرَاقِبٌ، أَكْلَؤُهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْصُونِي، وَأَتَوَلَّىٰ حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، أَجْوَدُ بِالْفَضْلِ عَلَىٰ الْعَاصِي وَأَتَفَضَّلُ عَلَىٰ الْمُسِيءِ، مَنْ ذَا الَّذِي دَعَانِي فَلَمْ أَسْمَعْ إِلَيْهِ، أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَنِي فَلَمْ أُعْطِهِ، أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي أَنَاخَ بِبَابِي وَنَحَّيْتُهُ، أَنَا الْجَوَادُ وَمِنِّي الْجُودُ، أَنَا الْكَرِيمُ، وَمِنِّي الْكَرَمُ، وَمِنْ كَرَمِي أَنْ أَغْفِرَ لِلْعَاصِي بَعْدَ الْمَعَاصِي، وَمِنْ كَرَمِي أَنْ أُعْطِيَ التَّائِبَ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي، فَأَيْنَ عَنِّي تَهْرَبُ الْخَلَائِقُ وَأَيْنَ عَنْ بَابِي يَتَنَحَّىٰ الْعَاصُونَ»(١).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وجودُه سبحانه يتضاعفُ في أوقاتٍ خاصَّةٍ كشهر رمضانَ، وفيه أنزل قولَه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩٢). وكأن قوله هذا شرح لحديث: «ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له...» الحديث.

فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾[(١)]»[(٢)].

وأما جودُ الخلق؛ فلقد كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مثلًا أعلىٰ في الكرمِ والجود، ولكنَّه في رمضان يكثرُ جودُه وعطاؤه، ويزدادُ بِرُّه وسخاؤه.

عن عبدِ الله بن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ: فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كَانَ أَجْوَدَ بالخير من الريح المرسلة»[(٣)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والجودُ في الشرعِ: إعطاءُ ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعمُّ من الصدقة، وأيضًا: فرمضانُ موسمُ

(١) [البقرة: ١٨٦].

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٦٣).

(٣) رواه البخاري (١٨٠٣) وأحمد (٣٤٢٥) وغيرهما.

الخيرات؛ لأنَّ نعمَ الله علىٰ عبادِه فيه زائدةٌ علىٰ غيرِه، فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْثِــــرُ متابعةَ سنَّةَ الله في عبادِه، فبمجموعِ ما ذُكِرَ من الوقتِ والمنزولِ به والنازلِ والمذاكرةِ حصلَ المزيدُ في الجود، والعلم عند الله تعالىٰ »(١).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أُحبُّ للرجلِ الزيادةَ في الجودِ في شهرِ رمضان اقتداءً برسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولحاجةِ الناسِ فيه إلىٰ مصالحِهم ولتشاغُلِ كثيرٍ منهم بالصومِ والصلاةِ عن مكاسبِهم »(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي هذا الحديثِ فوائدُ منها؛ بيانُ عِظَمِ جودِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها استحبابُ إكثارِ الجودِ في رمضان، ومنها زيادةُ الجودِ والخيرِ عند ملاقاةِ الصالحين، وعقِبَ فراقِهِم للتأثُّرِ بلقائهم، ومنها استحبابُ مدارسةِ القرآن"(٣).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر (١/ ٣١).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٦٩).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٥/ ٦٩).

عبادَ الله :

إن بابَ الجودِ واسعٌ، فإنفاقُ المالِ وبذلُــه لمستحقيهِ من الجودِ المحمود، ولكنَّ الجودَ يكونُ بغيرِ المالِ أيضًا، فتعليمُ العلمِ من أعظمِ الجودِ المحمود، ونفعُ الناس في قضاءِ معاملاتِهم من الجودِ المحمود، والأخلاقُ الحسنةُ مع الناسِ من الجودِ المحمود الذي لا يُعذر أحدٌ بتركِه، إذ هو مستطاعٌ لصاحبِ المال وغيرِه، ولذلكَ كان جودُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا ملموسًا بالمال وبغير المال:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: « وكان جوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجميعِ أنواعِ الجودِ؛ من بذلِ العلمِ والمالِ وبذلِ نفسِه لله تعالىٰ في إظهارِ دينِه وهدايةِ عبادِه وإيصالِ النفع إليهم بكل طريق؛ من إطعامِ جائعِهم ووعْظِ جاهلِهم، وقضاءِ حوائجِهم، وتَحمُّلِ أثقالِهم، ولم يزَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ هذه الخصالِ الحميدةِ مُنذُ نشأ، ولهذا قالتْ له خديجة في أوّلِ مَبعثِه: أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فواللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ،

وَتكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ(١).

ثم تَزايدتْ هذه الخصالُ فيهِ بعدَ البِعثةِ وتضاعفتْ أضعافًا كثيرة.

وفي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ»(٢).

وهاكمْ بعضَ الأمثلةِ من سخاءِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لم يُسجلِ التاريخُ لها مثيلًا، وليس للمسلمِ عن هديِهِ وسنَّتِه بَديلًا.

روىٰ مسلمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الإِسْلامِ شَيئًا إِلا أَعْطَاهُ». قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَينَ جَبَلَينِ(٣)، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لا يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ(٤).

وقال أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّىٰ يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٤٦٧٠) ومسلم (٢٥٢).

(٢) رواه البخاري (٢٦٦٥) ومسلم (٢٣٠٧) وأحمد (١٢٩٢٢).

(٣) "غنمًا بين جبلين" أي: كثيرة كأنها تملأ بين جبلين.

(٤) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٥) رواه مسلم (٢٣١٢).

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: «غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: «وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّىٰ إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»(١).

بل جاءَ عن جبير بنِ مُطعمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه بينما هو يسيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ، مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فوقفَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أعطوني رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٣).

(٢) رواه البخاري (٢٨٢١).

بل إنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ربّما يُعطي الشيءَ وهو مُحتاجٌ إليه، ولكنه يؤثِرُ غيرَه عليه، فقد جاء عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ، مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُنِيهَا. فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**نَعَمْ**». فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ. قَالَ سَهْلٌ: فكانت كَفَنَه»(١).

وكان جودُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضاعفُ في شهرِ رمضانَ علىٰ غيرِه من الشُّهور، كما أنَّ جودَ ربِّه تضاعفَ فيه أيضًا، فإنَّ اللهَ جَبلَه علىٰ ما يُحبُّه من الأخلاقِ الكريمةِ، وكان علىٰ ذلك من قبلِ البعثة"(٢).

---

(١) رواه البخاري (١٩٨٧).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٦٤) مع نقل الأحاديث من مصادرها واختصار بعض فقرات كلام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فما أعظمَ ذلك الجود، وما أسخىٰ تلك النفس، وما أكرم ذلك الخُلق.

قال ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد قال بعضُ الشعراء يمتدحُ بعضَ الأجواد ولا يصلحُ أن يكونَ ذلك إلا لرسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتى لو انَّه ... ثناها لِقبضٍ لم تُجِبْهُ أناملُهْ

تراهُ إذا ما جئتَه مُتهلِّلاً ... كأنك تُعطيهِ الذي أنتَ سائلُهْ

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَه ... فلجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحِلُه

ولو لم يكنْ في كفِّهِ غيرُ روحِه ... لجَادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ"[1]

وفي تضاعُفِ جودِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهرِ رمضان بخصوصِه فوائدُ كثيرة:

منها: شرفُ الزمان ومضاعفةُ أجرِ العملِ فيه.

ومنها: إعانةُ الصائمين والقائمين والذاكرين علىٰ طاعتِهم، فيستوجِبُ المعينُ لهم مثلَ أجرِهم، كما جاء أنَّ «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سبيلِ الله فَقَدْ غزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بخيرٍ فَقَدْ غزَا»[2].

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٦٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٨) ومسلم (١٨٩٥). عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومنها: أنَّ شهرَ رمضان شهرٌ يجودُ الله فيه علىٰ عباده بالرحمة والمغفرة والعتقِ من النار لا سيِّما في ليلةِ القدر، واللهُ تعالىٰ يرحمُ من عباده الرحماء، فمن جادَ علىٰ عبادِ الله جادَ الله عليه بالعطاءِ والفضلِ، والجزاءُ من جنس العمل.

فالمُبادرةَ المُبادرةَ إلىٰ الصالحات، والمُسابقةَ المسابقةَ إلىٰ الخيرات.

بارك الله لنا فيما سمعنا، ورزقنا العملَ الصالحَ الذي يُرضِي المولىٰ جَلَّ وَعَلَا عنَّا.

أقول ما تسمعون، وأستغفِـرُ الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله علىٰ إحسانِه، والشكرُ له علىٰ توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له تعظيمًا لشأنِه، وأشهدُ أنَّ نبينا محمدًا عبدُه ورسولُه الداعي إلىٰ رِضوانه، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسائر إخوانِه.

أما بعدُ، فيا أيها المسلمون: إنَّ مِنَ الأهدافِ الكبرىٰ لمشروعيةِ الأحكامِ في الإسلام: تحقيقَ الأُخوَّةِ بين المسلمين والمودَّةِ بين المؤمنين، فلنستلهِم من هذا الشهرِ كلَّ خُلُقٍ نبيلٍ وفعلٍ جميل، ولنحرِص علىٰ الرفقِ بالمسلمين والإحسانِ إليهم، وإيصالِ النفعِ لهم.

ومن ذلك تفطيرُ الصائمين، فاجتهِدْ - يا عبدَ الله - أن تُفَطِّر صائمًا أو صائمين أو ثلاثةً أو عشرةً، كلَّ يومٍ قدرَ استطاعتِك؛ فإنَّ لك مثلَ أجرِه؛ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»(١).

وكان السلفُ يتقربون إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ ببذلِ الطعامِ للصائمين، ولذلك قال يونسُ بنُ يزيد: « كان ابنُ شهاب إذا دخلَ رمضان، فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام »(٢).

وكان حماد بن أبي سليمان يُفطِّر في شهرِ رمضان خمسَ مائة إنسانٍ، وإنه كان يعطيهم بعدَ العيدِ لكل واحدٍ مائةَ درهم(٣).

وقال ابنُ رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: « كان كثير من السلف يواسون من إفطارِهم أو يُؤثرون به ويَطوون(٤)، فقد كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يصومُ ولا يُفطِرُ إلا مع المساكين. وجاء سائل إلىٰ الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يُعِدُّهُما لِفطرِه، ثم طوىٰ وأصبح صائمًا.

---

(١) رواه الترمذي (٨٠٧) وابن ماجه (١٧٤٦) والدارمي (١٧٤٤) وأحمد (١٧٠٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٥).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٦/ ١١١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٤).

(٤) أي: يصبرون علىٰ الجوع ليلتهم. وفي المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٢): (الطوىٰ) الْجُوع، وَيُقَال: طوىٰ فلَان جَاع فَهُوَ طو وطيان.

وكان الحسن يُطعِمُ إخوانه وهو صائم تطوعًا، ويجلسُ يُرَوحهم وهم يأكلون. وكان ابن المبارك يُطعمُ إخوانَه في السفَرِ الألوانَ من الحلواءِ وغيرِها وهو صائمٌ، سلامُ الله علىٰ تلك الأرواحِ، رحمةُ الله علىٰ تلك الأشباح، لم يَبقَ إلا أخبارٌ وآثار، كم بين من يمنعُ الحقَّ الواجبَ عليه وبين أهلِ الإيثار.

لا تعرِضــنَّ لــذكرِنا في ذكــرِهمْ   ليس الصحيحُ إذا مشى كالمُقعَدِ »[1]

أيُّها المؤمنون: إنَّ من الخِذلان الذي يُبتلىٰ به بعضُ الناسِ أنْ يمنعَ الزكاةَ الواجبةَ، وبعضُ الناسِ ربَّما يتأخَّرُ ويترددُ في إخراجِ الزكاة، وهذا بسببِ ضعفِ الإيمانِ، وقِلَّة اليقين، ومن تصديقِ وساوس الشيطان: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾[2].

فينبغي للمسلمِ أن يُبادر إلىٰ إخراجِ الزكاةِ طيبةً نفسُه بذلك، ويُستحبُّ له أنْ يكثرَ من الصدقاتِ زيادةً علىٰ الزكاةِ الواجبةِ، فإنَّ

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٦٦ – ١٦٨).

(٢) [البقرة: ٢٦٨].



الجمعَ بين الصيامِ والصدقةِ من موجباتِ الجنةِ، كما في حديث عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَىٰ ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(١).

وهذه الخصالُ كلُّها تكونُ في رمضان، فيجتمعُ فيه للمؤمنِ الصيامُ والقيامُ والصدقةُ وطيبُ الكلامِ، فإنه يُنهىٰ فيه الصائمُ عن اللغوِ والرَّفث.

وإنَّ الصيامَ والصلاةَ والصدقةَ أسبابٌ نافعةٌ، وأعمالٌ شافعة، توصل صاحبها إلىٰ الله، وتُقَرِّبُهُ منْ خالقِهِ ومولاه.

قال بعض السلف: الصلاةُ توصِلُ صاحبَها إلىٰ نصفِ الطريق، والصيامُ يوصِلُه إلىٰ بابِ الملِكِ، والصدقةُ تأخذُ بيده فتُدخِلُه علىٰ الملك(٢).

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٤) وأحمد (١٣٣٨)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٣٥) وصحيح الترمذي (١٩٨٤).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٦٧).

وفي صحيح مسلمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

وإنَّ الجمعَ بين الصيامِ والصدقةِ أبلغُ في تكفيرِ الخطايا واتقاءِ جهنم والمباعدةِ عنها، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صلُّوا في ظلمةِ الليل ركعتين لظلمةِ القبور، صوموا يومًا شديدًا حرُّهُ لحرِّ يومِ النُّشور، تصدَّقوا بصدقةٍ لشرِّ يوم عسير»(٢).

ثم صلُّوا وسلِّموا علىٰ خيرِ البرية، وأزكىٰ البشرية، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك علىٰ عبدِك ورسولِك محمد، وعلىٰ آله الطيبين

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨) وابن خزيمة في صحيحه (٢١٣١).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ١٦٧).

الطاهرين، وصحابتِه الغُرِّ الميامين، وارضَ اللهم عن الأئمةِ المهديين، والخلفاءِ الراشدين المَرْضِيِّين: أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ، وعليٍّ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين، ومن سارَ علىٰ نهجهم واتَّبعَ سُنَّــتَهم يا رب العالمين.

اللهم وفِّقنا لهُداك، واجعلنا نخشاك كأنا نراك، واجعلنا مُتَّبعين لسنة نبيك محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، اللهم أورِدنا حوضَه، وارزُقنا شفاعتَه، واحشُرنا تحت لوائه.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وأذِلَّ الشركَ والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا، والربا والزنا، والزلازل والمِحَن، وسوءَ الفتنِ ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين. اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجِزونك، اللهم اكفِنا شرَّ الأشرار، وكيدَ الفُجَّار، وشرَّ طوارِق الليل والنهار.

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسِّر أمورنا، وبلِّغنا فيما يُرضِيك آمالنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم، إنك سميع الدعاء.

ربنا تقبلْ منا إنك أنت السميع العليم، وتُبْ علينا إنك أنتَ التوابُ الرحيم.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.



٦ - خطبة جمعة بعنوان/

[الاجتهاد في العشر وتحري ليلة القدر]

الحمدُ لله الذي فضَّلَ هذا الشهرَ من بينِ الدُّهور، وجعلَ فيه ليلةً تعدِلُ العبادةُ فيها ألفًا من الشهور، أحمدُه عددَ ما ينزلُ من الملائكةِ إلىٰ الأرض، حمدًا نرجو به المغفرةَ والسلامةَ في يوم العرض.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، ذو العزَّةِ القاهرة، والقُدرةِ الباهرة، والآلاءِ المُتَظاهرة، الذي أوجَدَنا من العَدَم، وجعلَنا الخيارَ الوسطَ في الأمم، وخوَّلَنا عوارفَ لا تُحصىٰ، وهدانا شِرْعةً رَمتْ بنا من رِضوانِه إلىٰ الغَرَضِ الأقصىٰ، فله الحمدُ دائبًا، وله الشكرُ واصِبًا.

يَـا مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ فِيمَـا أُؤَمِّـلُهُ ... وَمَـنْ أَعُـوذُ بِـهِ مِمَّـا أُحَـاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ النَّـاسُ عَظْمًـا أَنْـتَ كَاسِـرُهُ ... وَلا يَهِيضُونَ عَظْمًـا أَنْـتَ جَابِـرُهُ(١)

---

(١) البيتان لأبي الطيب المتنبي -الشاعر المشهور- في مدح جعفر بن كيغلغ من قصيدة مطلعها:

حاشىٰ الرقيب فخانته ضمائره ... وغيض الدمع فانهلت بوادره

انظر: ديوان المتنبي طبعة ١٤٠٣ هـ، الناشر دار بيروت - لبنان ص ٤١، وقد أسرف في المدح. قال ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٢٧٥: « بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه كان ينكر علىٰ المتنبي، هذه المبالغة في =

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، خيرُ مَنْ صلَّىٰ وصام، وأشرفُ مَنْ تَهَجَّدَ وقام، وأفصحُ من عَلَّمَ الأحكام، وأبلغُ مَن أوضحَ الحلالَ والحرام، وأكرمُ من رسَمَ الإحلالَ والإحرام، شَرَّفَ اللهُ محَلَّهُ، وكمّلَ الصّلاةَ والسّلامَ لهُ. صلواتُ الله وسلامُه عليه صلاةً مستمرَّةَ الدوام، جديدةً علىٰ مرِّ الليالي والأيام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾(١).

مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ الله ورسولَه فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا.

أما بعد: فإنَّ مِن نعمِ الله علىٰ عبدِه أن أمدَّ في عمُره، وأبقاه في الحياةِ، حتىٰ يُدركَ المواسمَ تلوَ المواسم، ويُحصِّل المغانمَ تلوَ المغانم.

= مخلوق، ولقول: إنما يصلح هذا لجناب الله -سبحانه وتعالىٰ-، وقال ابن القيم: سمعت ابن تيمية يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود، أدعو الله بما تضمناه في الذل والخضوع». أ. هـ. وقال ابن القيم أيضًا في شفاء العليل في القضاء والقدر ٢/ ١٩١: «ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله». أ. هـ

(١) [سورة الحشر: ١٨].



ومن تلك المواسِمِ التي أكرمَ الله بها أُمَّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هي العشر الأواخر من رمضان، وقد جعلها اللهُ في خير الشهور، وفضَّلَها علىٰ سائر الدهور، فينبغي لنا أن نعرف قَدْرَها المأثور، وما ورد في اغتنامِها من الفضائلِ والأجور. عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»(١).

قال السِّنديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « قَوْلُهُ: (يَجْتَهِدُ) أَيْ: يُبَالِغُ فِي أَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ وَأَصْنَافِ الْمَبَرَّاتِ وَالْعِبَادَاتِ »(٢).

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَفِي الْحَدِيثِ الْحِرْصُ عَلَىٰ مُدَاوَمَةِ الْقِيَامِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ، إِشَارَةً إِلَىٰ الْحَثِّ عَلَىٰ تَجْوِيدِ الْخَاتِمَةِ، خَتَمَ اللهُ لَنَا بِخَيْرٍ آمِينَ »(٤).

---

(١) رواه مسلم (١١٧٥).

(٢) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (١/ ٥٣٧).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٦٩ - ٢٧٠).

وقال العلماء: « قَوْلُهُ: (أَحْيَا اللَّيْلَ) أي: بِالْقِيَامِ وَالْقِرَاءَةِ، كَأَنَّ الزَّمَانَ الْخَالِي عَنِ الْعِبَادَةِ بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ، وَبِالْعِبَادَةِ فِيهِ يَصِيرُ حَيًّا، فَإِذَا كَانَ حَالُ الزَّمَانِ هَكَذَا فَكَيْفَ الْقَلْبُ (وَشَدَّ الْمِئْزَرَ) أَيِ: الْإِزَارَ وَهَذَا إِمَّا كِنَايَةٌ عَنْ غَايَةِ الْجِدِّ فِي الْعِبَادَةِ كَتَشْمِيرِ الذَّيْلِ، أَوْ كِنَايَةٌ عَنِ اجْتِنَابِ النِّسَاءِ »[١].

والأوقاتُ المعمورةُ بالطاعةِ تُوصَفُ بالحياةِ، وكذلك القلوبُ والأماكنُ تُوصَفُ بالحياة إنْ كان فيها خيرٌ وذكرٌ لله تعالىٰ، وإلَّا كانتْ في عِدادِ الموتىٰ، وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[٢].

فكان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُحيي نفسَه بالسَّهرِ وتركِ النومِ في ليلِ العشرِ الأواخرِ من رمضان، ويُحيي وقته بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ وذِكرِه.

«وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ» أي: للطاعة. والمرادُ من كان يطيقُ القيامَ من أهلِه، كما رَوَىٰ ابْنُ نَصْرٍ[٣] مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ

---

(١) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (١/ ٥٣٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٤).

(٣) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص/ ٢٤٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ»(١).

فمن أحياها أحيا اللهُ قلبَه وأعطاهُ خيرًا كثيرًا لا يَعلمُ قدْرَه الا هو جلَّ شأنه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « يُستَحَبُّ أن يُزادَ من العباداتِ في العشرِ الأواخرِ من رمضان، ويُستَحبُّ إحياءُ لياليه بالعبادات »(٢).

أَطَلَّتْ عَشرُ خيرٍ فاغْنَموها — وفوزوا بالجزيلِ من العطايا
وتوبوا من ذُنوبِكم وعودوا — لدَرْبِ الرُّشْدِ واجتنبوا الخطايا

عباد الله : لقد أكرمَ الله أُمَّةَ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه العشرِ بليلةٍ تَعدِلُ العبادةُ فيها العبادةَ في ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدر، بل جعلها الله خيرًا من ألفِ شهرٍ فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾(٣).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٦٩ - ٢٧٠).
(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٠/ ٢٦٥).
(٣) [القدر: ١- ٥].

قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: « أَيِ الْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَقِيلَ: وَجْهُ ذِكْرِ الْأَلْفِ الشَّهْرِ: أَنَّ الْعَابِدَ كَانَ فِيمَا مَضَىٰ لَا يُسَمَّىٰ عَابِدًا حَتَّىٰ يَعْبُدَ اللهَ أَلْفَ شَهْرٍ، وَذَلِكَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، فَجَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ عِبَادَةَ لَيْلَةٍ خَيْرًا مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللهَ فيها.

وَقِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ قَصِيرَةً، فَخَافَ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ مَا بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَجَعَلَهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لِسَائِرِ الْأُمَمِ»(١).

وقال بعضُ المفسرين: « أي: العمل فيها خيرٌ من العملِ في ألفِ شهرٍ سواها. **وقيل** أيضًا: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر لأصحابِه أنَّ رجُلًا من بني إسرائيلَ جاهدَ ألفَ شهرٍ في سبيلِ الله؛ فعظُمَ ذلك عليهم؛ فنزل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ أي: العملُ فيها خيرٌ من جهادِ ذلك الرجل في ألفِ شهر.

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٧٦).

وأما سببُ تسميتِها بليلةِ القدر: فقَالَ بَعْضُهُمْ: هي ليلة الحُكمِ والقضاءِ، فيها يَحكمُ اللهُ ويَقضي ما يريدُ أن يكونَ في ذلك العامِ المقبل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[(١)].

أو سُمِّيَتْ ليلة القدر؛ لأنها ليلةٌ لها قَدْرٌ ومنزلةٌ عند الله تعالىٰ؛ لِما يوصفُ الشيءُ العظيمُ بالقَدْرِ والمَنزِلة.

وسُمِّيت ليلةً مباركةً؛ لأنه تنزلُ فيها البركاتُ والرحمةُ من الله - تعالىٰ - علىٰ خَلْقِهِ. أو سُمِّيت مباركةً؛ لكثرةِ ما يُعْملُ فيها من العبادات »[(٢)].

ومن فضائل هذهِ الليلةِ المباركةِ؛ أنَّ اللهَ أنزلَ فيها القرآنَ، وهو كتابٌ ذو قَدْرٍ، بواسطة ملَكٍ ذي قدرٍ، وهو جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، علىٰ نبيٍّ ذي قدرٍ، وهو محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأمةٍ ذاتِ قدرٍ، وهي أمةُ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لَسْتٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ**

---

(١) [الدخان: ٤].

(٢) من عند: (وقال بعض المفسرين...) كله من تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (١٠/ ٥٨٥).

عَشْرَةَ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانٍ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ»(١).

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: «أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مُعَظِّمًا لِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهَا فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾»(٢).

ومن فضائلِ هذه الليلةِ أنَّ مَنْ قامها إيمانًا واحتسابًا فإنه مُبشَّرٌ وموعودٌ بمغفرةِ اللهِ سبحانه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٣).

---

(١) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص/ ٢٥٠) واللفظ له. ورواه أحمد (١٦٩٨٤) والطبراني في الكبير ٢٢/ (١٨٥) والبيهقي في السنن (٩/ ١٨٨)، وفي شعب الإيمان (٢٢٤٨). وصححه الألباني في صحيح السيرة (ص/ ٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير - ط العلمية (٨/ ٤٢٥) وذكر الأثرَ ابن عطية في المحرر الوجيز، والشوكاني في فتح القدير عند تفسير سورة القدر.

(٣) رواه البخاري (١٨٠٢) وأحمد (٨٥٧٦).

ومن فضائلِ ليلةِ القَدْرِ أنَّ ملائكةَ اللهِ تنزلُ إلى الأرضِ لِيَشهدوا العبادةَ والذكرَ مع المسلمين، وقيل: يَنْزِلُونَ لِيَرَوْا عِبَادَةَ الْبَشَرِ وَجِدَّهُمْ وَاجْتِهَادَهُمْ فِي الطَّاعَةِ(١).

عنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ في لَيلةِ القَدرِ: «**إِنَّها لَيْلةُ تَاسِعَةٍ أَوْ سَابِعةٍ وعِشْرينَ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ في تلكَ اللَّيْلَةِ في الأَرْضِ أَكْثرُ مِنْ عَددِ الحَصَى**»(٢).

وأما وقتُها؛ فقد أخفاهُ الله عَزَّوَجَلَّ لحكمةٍ منه يعلَمُها سُبحانه، ومن العلماء من ذكر بعضَ أسباب إخفائها، ففي التفسيرِ الكبير: «أَنَّهُ تعَالَى أَخْفَاهَا، كَمَا أَخْفَى سَائِرَ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُ أَخْفَى رِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ، حَتَّى يَرْغَبُوا فِي الْكُلِّ، وَأَخْفَى غَضَبَهُ فِي الْمَعَاصِي لِيَحْتَرِزُوا عَنِ الْكُلِّ، وَأَخْفَى وَلِيَّهُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى يُعَظِّمُوا الْكُلَّ، وَأَخْفَى الْإِجَابَةَ فِي الدُّعَاءِ لِيُبَالِغُوا فِي كُلِّ الدَّعَوَاتِ، وَأَخْفَى الِاسْمَ الْأَعْظَمَ لِيُعَظِّمُوا كُلَّ الْأَسْمَاءِ، وأخفى الصَّلَاةَ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٢٣٣).

(٢) رواه أحمد (١٠٧٣٤) والطيالسي في المسند (٢٦٦٨)، والبزار (٩٤٤٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٧٣). وذكر شعيب في تحقيق المسند أن إسناده محتمل للتحسين.

الْوُسْطَىٰ لِيُحَافِظُوا عَلَىٰ الْكُلِّ، وَأَخْفَىٰ قَبُولَ التَّوْبَةِ لِيُوَاظِبَ الْمُكَلَّفُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَقْسَامِ التَّوْبَةِ، وَأَخْفَىٰ وَقْتَ الْمَوْتِ لِيَخَافَ الْمُكَلَّفُ، فَكَذَا أَخْفَىٰ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لِيُعَظِّمُوا جَمِيعَ لَيَالِي رَمَضَانَ.

وَثَانِيهَا: كَأَنَّهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: لَوْ عَيَّنْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَأَنَا عَالِمٌ بِتَجَاسُرِكُمْ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، فَرُبَّمَا دَعَتْكَ الشَّهْوَةُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، فَوَقَعْتَ فِي الذَّنْبِ، فَكَانَتْ مَعْصِيَتُكَ مَعَ عِلْمِكَ أَشَدَّ مِنْ مَعْصِيَتِكَ لَا مَعَ عِلْمِكَ، فَلِهَذَا السَّبَبِ أَخْفَيْتُهَا عَلَيْكَ...

وَثَالِثُهَا: حَتَّىٰ يَجْتَهِدَ الْمُكَلَّفُ فِي طَلَبِهَا، فَيَكْتَسِبَ ثَوَابَ الِاجْتِهَادِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَمْ يَتَيَقَّنْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَإِنَّهُ يَجْتَهِدُ فِي الطَّاعَةِ فِي جميع ليالي رَمَضَانَ، عَلَىٰ رَجَاءِ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَيُبَاهِي اللهُ تَعَالَىٰ بِهِمْ مَلَائِكَتَهُ، وَيَقُولُ: كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِيهِمْ يُفْسِدُونَ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ فَهَذَا جِدُّهُ وَاجْتِهَادُهُ فِي اللَّيْلَةِ



الْمَظْنُونَةِ، فَكَيْفَ لَوْ جَعَلْتُهَا مَعْلُومَةً لَهُ! فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ سِرُّ قَوْلِهِ: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ولكنها يقينًا في العشرِ الأواخرِ من رمضان؛ لقولِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَإِنِّي نُسِّيتُهَا وَإِنَّهَا في العشرِ الأواخرِ، وفي وِتْرٍ»[2]. فينبغي تحرِّيها في كلِّ ليالي العَشْر، لقولِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»[3].

ويُستحبُّ الإكثارُ في هذه الليالي من الدعاءِ المأثور عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»[4].

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٢٢٩). والآية في [سورة البقرة: ٣٠].

(٢) رواه البخاري (٧٨٠).

(٣) رواه البخاري (١١٠٥) ومسلم (١١٦٥).

(٤) رواه أحمد (٢٥٣٨٤) والترمذي (٣٥١٣) وابن ماجه (٣٨٥٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣١٦).

والعفوُ من الله تعالىٰ عبارةٌ عن إزالةِ آثارِ الذنوبِ بالكُليَّة، فيمحوها من ديوانِ الكرامِ الكاتبين، ولا يطالبُه بها يومَ القيامة، والعفوُ أبلغُ من المغفرةِ؛ لأنَّ الغُفرانَ يُشعرُ بالسترِ، والعفوُ يُشعرُ بالمَحو، والمحوُ أبلغُ من الستر(١).

وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وفيه دليلٌ علىٰ أنَّ طلبَ العفوِ رأسُ كلِّ خير، وفتحُ بابِ كلِّ فلاحٍ ونجاة؛ لأنه يستعدُ به للزُّلفىٰ إلىٰ الجنابِ الأقدس »(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكَمِ المُنيفة، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية (ص٨٧).

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٦٢٥).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمدًا يقومُ بشُكرِ نعمائه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عُدَّةً عند لقائه، وأشهدُ أنَّ محمداً سيدُ رسلِه وأنبيائهِ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه عدد ما خلق في أرضه وسمائه.

أما بعد: فإنَّ من الحرمانِ العظيم، أن تمُـرَّ هذه الفرصُ دونَ اغتنام، وأن تتابعَ هذه المواسمُ من غير اهتمام؛ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عن شهر رمضان: «**فيهِ ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شَهْرٍ مَن حُرِمَ خيرَها فقَد حُرِمَ**»(١).

قال الطِّيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « اتحد الشرطُ والجزاءُ دِلالةً علىٰ فخامةِ الجزاء، أي: حُرِمَ خيراً كثيراً، لا يُقادَرُ قدرُه »(٢).

---

(١) رواه أحمد (٧١٤٨) وعبد الرزاق (٨٣٨٣) وعبد بن حميد (١٤٢٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠٠) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢١٠٥) وصحيح الجامع (٥٥) وصححه شعيب في تخريج المسند (٨٩٩١).

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٥٧٦).

وقد كان السلفُ يعظِّمون العشرَ الأواخرَ من رمضان ويَحرِصُونَ علىٰ اغتنامِها في طاعةِ الله عَزَّوَجَلَّ: فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قال: «كَانُوا يُعَظِّمُونَ ثَلَاثَ عَشَرَاتٍ؛ الْعَشْرُ الْأُوَلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَالْعَشْرُ الْأُوَلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ»(١).

هي العشرُ الأواخر فاجتهِدْها ... ولا تركنْ إلى الفرشِ الوثيرِ
وشُدَّ لها المآزرَ واغتنمها ... فإنَّ الفوزَ في الشوطِ الأخيرِ

عباد الله: إنَّ الاجتهاد في هذه العشرِ بالعبادةِ أمرٌ متفقٌ علىٰ استحبابِه، جاء في الموسوعة الفقهية: « اتفقَ الفقهاءُ علىٰ استحبابِ مضاعفةِ الجُهدِ في الطاعاتِ في العشرِ الأواخرِ من رمضان، بالقيامِ في لياليها، والإكثارِ من الصدقاتِ وتلاوةِ القرآن الكريم ومدارستِه، بأن يُقرأَ عليه، أو يَقرأَ هو علىٰ غيرِه، وزيادةِ فعلِ المعروفِ وعملِ الخير، وذلك تأسِّيًا بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ »(٢).

(١) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص/ ٢٤٧).
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ١١٦).

بل قال العلماء: « ويستحبُّ للرجل أن يوَسِّعَ علىٰ عيالِه، وأن يُحسِنَ إلىٰ أرحامِهِ وإلىٰ جيرانِه في شهرِ رمضان، ولا سيّما في العشرِ الأواخرِ منه »(١).

فهي فرصةٌ عظيمةٌ لا سِـيّما ونحن علىٰ وشكِ نهايةِ الشهر ووداعِهِ:

هلالُ النورِ مالَ إلى المحاقِ ... وشهرُ الخيرِ آذنَ بالفراقِ
مضتْ عشرٌ فعشرٌ مسرعاتٍ ... وعشرٌ أسرجت ظهرَ البُراقِ
مضى الثلثان يا قلباه فالحقْ ... على الثلثِ الأخيرِ من السباقِ
أمامك ليلةٌ عن ألفِ شهرٍ ... مخبأةٌ لدى العشرِ البواقِ
رجوتك يا إلهَ الكونِ ثوباً ... يُواري سوءتي يوم المساقِ

اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ، والتقىٰ، والعفافَ، والغِنىٰ، اللهم أَرِنا الحقَّ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرِنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابَه، اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، واخذل من يخذلِ المسلمين، اللهم اجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا

(١) المجموع للنووي (٦/ ٣٧٦ - ٤٤٩) والمغني لابن قدامة (٣/ ١٧٩).

وسائرَ بلادِ المسلمين، اللهم إنا نعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن عينٍ لا تدمع، ومن نفس لا تشبع، اللهم اجعلنا في هذا الشهر من المقبولين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم توفَّنا مسلمين وألحِقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالدينا أجمعين، اللهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.





٧- خطبة جمعة بعنوان/

[الحثُّ على تجويدِ الختام وتحقيقِ الحكمةِ من الصيام]

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الأعمالَ بالخواتيم، ووعدَ الصائمين الأبرارَ بالنعيمِ، والشُّربِ مِنْ تَسنيم، أحمدُهُ عددَ تسبيحِ المؤمنين واستغفارِ التائبين وتهليلِ المُوَحِّدين.

وأشهدُ أنْ لا إلا الله وحده لا شريك له، شرَعَ الصومَ لتحقيق التقوىٰ، وأكرمَ الصائمين بعطايا لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ، وأخـبرَ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾(١).

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، حثَّ علىٰ التقوىٰ وبَشَّر، ونهىٰ عن المعاصي وحذَّر، وأوعدَ عليها وأنذَر، وأمرَ باتّخاذِ الصيام جُنَّة، وبشَّر الصائمينَ ببابٍ في الجنَّة، صلواتُ الله وسلامُه

(١) [النجم: ٣٩-٤١].

عليه، وعلىٰ آلهِ الكُرَماء، وأصحابِه الرُّحمَاء، ما رُؤيَ هِلال، وسُمِعَ إهلال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1].

أما بعد: فإنَّ اللهَ شرعَ الصيامَ في شهرِ رمضان، ليستعينَ به العبادُ علىٰ تحقيقِ التقوىٰ، وأصلُ الاتّقاءِ هو الحذرُ مما يُخافُ ويُجتنب؛ وَقد سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أُبَيَّ بنَ كعبٍ عَنِ التَّقْوَىٰ، فَقَالَ: «هَلْ أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قال: نعم. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهِ؟ قَالَ: تَشَمَّرْتُ وَحَذِرْتُ، قَالَ: فَذَاكَ التَّقْوَىٰ. وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَىٰ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَنَظَمَهُ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
واصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الجبالَ من الحصى»[2]

[1] [سورة الحشر: ١٨].
[2] تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٦١).

وقد جعلَ الله هذا الشهرَ موسمَ خيرٍ للمؤمنين؛ فاستطاعوا بعونِ الله وتوفيقِهِ أنْ يتركوا الطيباتِ والمباحاتِ والمألوفات، وهُمْ علىٰ تركِ المحرماتِ والمنكراتِ أقدَرُ، وبالفضلِ في تركها أحرىٰ وأجدر.

فمنِ استطاعَ أنْ يَتركَ الطيباتِ والمباحاتِ من وقتٍ معينٍ إلىٰ وقتٍ مُعيّنٍ؛ فإنه قادرٌ علىٰ تركِ المحرماتِ في ذلك الوقتِ وفي سائرِ الأوقات.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾(١).

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا. وَقِيلَ: تَتَّقُونَ الْمَعَاصِيَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ، لِأَنَّهَا تَكْسِرُ الشَّهْوَةَ وَتُضْعِفُ دَوَاعِيَ الْمَعَاصِي، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ جُنَّةٌ وَأَنَّهُ وِجَاءٌ »(٢).

---

(١) [البقرة: ٣٠].

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٠٧).

وقال بعض العلماء: «وقولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: لأجلِ أنْ تتقوا اللهَ، لأن الصيامَ جُنَّةٌ يَقيكَ من المعاصي، ويَقيك من النارِ، لأنَّ من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفرَ له ما تقدمَ من ذنبِه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: من أجلِ التقوىٰ وهذه هي الحكمةُ من إيجابِ الصوم، ويدلُّ علىٰ هذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشرابه**»(١).

لأنَّ اللهَ لم يُرِدْ أن يُعذِّبَ العبادَ بتركِ ما يشتهون ويألَفون، ولكنَّه أرادَ أنْ يَدَعُوا قولَ الزورِ والعملَ به والجهلَ»(٢).

فينبغي للمسلمِ أنْ ينظرَ أين هوَ من التقوىٰ، لأنَّ التقوىٰ هي المَقصدُ، وأهلُها همُ الذين تُقبَلُ أعمالُهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٨٠٤).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٥/ ٢٦٠).

(٣) [المائدة: ٢٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٢٧﴾ أَيْ: مِمَّنِ اتَّقَى اللهَ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ.

وروى ابنُ أبي حاتمٍ عن أبي الدرداءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لَأَنْ أَسْتَيْقِنَ أَنَّ الله قد تقبَّل لي صَلَاةً وَاحِدَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٢٧﴾ » »(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « التقوى فيها جِماعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَهِيَ خَيْرُ مَا يَسْتَفِيدُهُ الْإِنْسَانُ، كَمَا قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَصْحَابَكَ يَقُولُونَ الشِّعْرَ وَأَنْتَ مَا حُفِظَ عَنْكَ شيء، فَقَالَ:

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُؤْتَى مُنَاهُ ... وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
يَقُولُ الْمَرْءُ فَائِدَتِي وَمَالِي ... وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا »(٢)

(١) تفسير ابن كثير – ط العلمية (٣/ ٧٧).

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٦٢).

عباد الله: لقد جعلَ الله في شهرِكم هذا نفحاتٍ كثيرة، وفُرَصًا عديدة، لمن أراد نيلَ مغفرةِ الله عَزَّوَجَلَّ، فجعلَ الصيامَ سببًا لنيلِها، «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذنبه»(١).

ومَنْ لم يُدرك المغفرةَ بالصيام فقد جعلَ اللهُ لنيلها سببًا آخرَ وهو القيام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢).

ومن لم تشمَلْهُ المغفرةُ بالقيامِ ولا الصيام، فقد جعلَ الله في قيامِ ليلةِ القدر فرصةً لنيل مغفرتِه سبحانه؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٣).

ومن لم يوفَّقْ في شيءٍ مما سبقَ فليُكثِر من الدعاء؛ فإنَّ الله قد جعل للصائمِ دعوةً لا تُردُّ، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (١٨٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه ابن ماجه (١٧٥٢) والترمذي (٣٩١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه شعيب في تحقيق ابن ماجه.

ومن لم يُدرك بذاك ولا بهذا فإنَّ للهِ نفحاتٍ ورحمات، يُعتق من النار في كل ليلةٍ من يشاء من عبادِه؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلك كُلُّ لَيْلَةٍ»(١). أي: في رمضان.

ومن لم يُدرِك بشيء مما سبَقَ فعليه بالتوبةِ إلىٰ الله، وطلبِ المغفرةِ من الله، وإلَّا فقد رغِمَ أنفُه، وساءَ عملُه، وخابَ سعيُه، وتعِسَ حظُّه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ»(٢).

قال العلماء: « والمعنىٰ: أنَّ صيامَ رمضان والعملَ الصالحَ فيه سببٌ لدخولِ الجنةِ، فمن لم يغتنمْ رمضانَ وقصّرَ في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فاتَه دخولُ الجنةِ وأرغم الله أنفَه، يعني: أذلَّه وأخزاه »(٣).

(١) رواه ابن ماجه (١٦٤٢) والترمذي (٦٨٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٥) وأحمد (٧٤٥١) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١٣٨٢).

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٩/ ٢٣٠).

فمن لم يعملْ في رمضان فمتىٰ سيعمَلُ، ومن لم يُغفرْ له في رمضان مع وجودِ أسبابِ العفوِ والمغفرةِ والمِنحِ الإلهية فمتىٰ إذن سيُغفرُ له؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقىٰ المِنبرَ فَقال: «آمينَ آمينَ آمينَ» قِيل لَه: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا كُنتَ تَصنَعُ هَذا؟ فَقَالَ: «قَال لِي جِبريلُ: رَغمَ أنفُ عَبدٍ أَدرك أَبويهِ أَو أَحدَهُما لَمْ يُدخِلهُ الجَنةَ. قُلتُ آمينَ. ثُم قَال: رَغمَ أَنفُ عَبدٍ دَخلَ عَليه رمضانَ لَم يُغفرَ لَه. فَقلتُ: آمينَ. ثُم قَال: رَغم أَنفُ امرِئٍ ذُكرتَ عِندهُ فَلم يُصلِ عَليك. فَقلتُ: آمين»(١).

عبادَ الله: إن مرورَ هذا الشهرَ بهذه السرعةِ المُذهلة لهو دليلٌ علىٰ سُرعةِ تقضِّي الأعمارِ، وانقضاءِ الأوقاتِ، واقترابِ الآجالِ، فاتقوا الله يا عبادَ وأدركوا ما تَبقَّىٰ من هذه الأيامِ الفاضلةِ، والليالي المتواصلة، بالتوبةِ الصادقةِ النصوح، فإن الخيرَ ما زال

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٦) وحسنه الألباني في التعليق علىٰ فضل الصلاة (٩/ ١٨) والتعليق الرغيب (٢/ ٢٨٣).



ممنوحًا، وبابَ الجنة ما زال مفتوحًا، وتذكَّروا أنَّ العبرةَ بالختام، وأنَّ تحقيقَ التقوىٰ هو الحكمةُ من مشروعيةِ الصيام.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم والسنة الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات الباهِرات والحِكَم المُنيفة، أقول قولي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم وللمسلمين والمسلمات من جميع الآثام والخطيئات، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه كان للأوابين غفورًا.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي رفعَ لشهرِ الصيام قدرًا، وحثَّنا علىٰ تحقيقِ مقاصِده الكُبرىٰ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، أجرَىٰ في شهرِ الصيامِ من البَـــرَكاتِ ما أجرىٰ، وأشهدُ أن نبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسوله أكرمُ العبادِ منزلةً وقدرًا، وأرفعهم شرفًا وذِكرًا، صلَّىٰ الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلىٰ آله وصحبِهِ البالغين من الخيرِ فضلاً عظيمًا وأجرًا، والتابعين ومن تبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ الأعمالَ بالخواتيمِ، والعبرةَ بكمالِ النهاياتِ لا بنقصِ البداياتِ، فمن فاته حُسْنُ الاستقبالِ فلا يُقصِّرْ في تجويدِ الختام.

وقد رويَ عن بعضِ السلف أنه قال: إنَّ الخيلَ إذا شارفت نهايةَ المضمارِ بذلت قُصارىٰ جُهدِها لتفوز بالسباق، فلا تكنِ الخيلُ أفطنَ منك! فإنما الأعمالُ بالخواتيم، فإنك إذا لم تحسنِ

الاستقبال لعلك تحسنُ الوداع. وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات(١).

ويروىٰ عن بعضهم: « أحسِن فيما بقي يُغفرْ لك ما مضىٰ، فلا تدري متىٰ تدركُ رحمةَ الله ».

فمن كان محسنًا فليَزِدْ في الإحسانِ، ومن كان مسيئًا فليتُبْ إلىٰ الكريمِ المنَّان، ولنحرِصْ علىٰ الأخذِ بأسبابِ المغفرة قبل خروجِ رمضان.

ولا تكسَلْ فإنَّ الأمرَ جدٌّ ... وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِك مَا اسْتَطَعْتَا
وَلا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ جَهْلاً ... فَإنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إنْ ضَحِكْتَا
وَكَيفَ لَكَ السرورُ وأَنتَ رهنٌ ... وَلا تَدْرِي أتُفْدى أم غُلِلتَا(٢)

عبادَ الله: لقد شرع الله زكاةَ الفطرِ طُهرةً للصائمِ من اللغوِ والرَّفَثِ، وطُعمةً للمساكينِ ليستَغنوا بها عن السؤالِ في يومِ العيد، ولِيَشتَرِكُوا مع الأغنياءِ في فَرحةِ العيد. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٥، ٤٦).
(٢) ديوان أبي إسحاق الإلبيري (ص/ ٢٩).

مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ»(١).

وزكاةُ الفِطرِ واجبةٌ علىٰ كل مسلمٍ ذكراً كان أو أنثىٰ، حُرًّا أو عبداً، صغيراً أو كبيراً، إذا مَلَك صاعـًا من طعامٍ، فاضلاً عن قوتِه وقوتِ من تلزمُه نفقتُه من المسلمين، ويُستحبُّ إخراجُها عن الجنين.

ويَـبدأُ الوقتُ لإخراجها من غروبِ الشمسِ ليلةَ عيدِ الفِطرِ إلىٰ ما قبل صلاةِ العيد، والأفضلُ: إخراجُها يومَ العيدِ قبلَ صلاةِ العيد.. ويجوزُ إخراجُها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومين. فطِيبوا بإخراجِها نَـفْسًا، وارفعوا بهذه العبادةِ رأسـًا، واحْرِصُوا علىٰ إخراجِها طعامًا، فإنَّ إخراجها من الطعام ليس في إجزائه خلافٌ، وإخراجُها نقدًا في إجزائه خلافٌ، والعاقلُ يأخذ بما لا شكَّ فيه، حَذرًا مما فيه شك.

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٦٠٩)، وهذا لفظه، صحيح سنن أبي داود رقم (١٤٢٠). وأخرجه ابن ماجه برقم (١٨٢٧)، صحيح سنن ابن ماجه رقم (١٤٨٠). وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

هذا واعلموا أنَّ الله أمرَكمْ بالصلاةِ والسلامِ علىٰ نبيِّه محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال في محكمِ التنزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾[1]. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذِلَّ الشركَ والمشركين، ودمِّرْ أعداءَ الدين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًّا وسائرَ بلادِ المسلمين يا ربَّ العالمين. اللهم إنا نسألُك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، ونعوذُ بك من النارِ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل.

اللهم اهدِنا وسدِّدنا يا ذا الجلال والإكرام. اللهم تقبَّل صيامَنا وقيامَنا ودُعاءنا وسائرَ أعمالِنا يا ربَّ العالمين، اللهم اجعلنا في هذا الشهرِ من المقبولين برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١)[الأحزاب: ٥٦].

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾(١).



(١) [الصافات: ١٨٠-١٨٢].



٨ - خطبة عيد الفطر بعنوان/

[حتى تكونَ بالعيدِ سعيدًا]

الحمدُ لله على إكمالِ العَدد، وبلوغِ الأَمَد، الحمدُ لله الذي سهَّلَ لنا الصيامَ والقيامَ ويسَّر، نحمدُه على نعَمِهِ التي لا تُحصى ولا تُحصَر، أمر بالشكرِ بعد التتميم، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾(١).

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، عظَّمَ الشعائرَ والحُرُمات، وجعلَ الفرح في الأعيادِ من الطاعاتِ والقرُبات.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسوله، بيَّنَ أنَّ الفرَحَ في هذا العيد، من شعائر أهلِ التوحيد، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا»(٢).

---

(١) [سورة البقرة: ١٨٥].

(٢) رواه البخاري (٩٠٩) ومسلم (٨٩٢).

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ.

اللهُ أكـــبرُ كلَّمـــا رَدّدتُهـــا أحسســتُ أنَّ الشَّــهدَ في شَــفتيّا
اللهُ أكـــبرُ كـــم أزاحـــتْ كُربــةً كـــمْ أســعَدَتْ في العــالمين شــقيًا

أما بعد:

فهنيئًا لكم - عبادَ الله - علىٰ إتمامِ الصيامِ وإكمالِ القيام، وهنَّأكمُ اللهُ بهذا العيدِ العظيم، دامَت عليكم الفرحةُ والسُّرور، والبهجةُ والحُبور.

اللهم لك الحمد علىٰ إكمال الصيام وبلوغ التمام.

أيها المسلمون: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنعمَ علينا بنِعَمٍ عظيمة؛ ومن هذه النعمِ ما تعيشُه الأمةُ من أفراحٍ وأعياد، ومن هذه الأعياد هذا العيدُ الذي توَّج الله به شهرَ الصيامِ والقيام، وأجزَل لنا فيه البرَّ والإكرام، أحلَّ لنا فِطْرَهُ وحرَّم علينا صومَه، وأوجب علينا فيه شُكرَه.

وإنَّ الفرحَ بهذا اليوم مقدمةٌ للفرحةِ الكُبرىٰ يومَ القيامة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا

لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»(١). اللهم كما تفضَّلتَ علينا بإدراك هذه الفرحةِ، نسألُك أن تُنعِمَ علينا بالفوز بالفرحةِ الكُبرىٰ، والمِّنةِ العُظمىٰ.

أيها المسلمُ الكريم: حتىٰ تكون بالعيد سعيدًا؛ تدَّثَّرَ بالقناعةِ، وتزمَّل بالرِّضا، وارضَ بما قسمَ الله لك، ولا تعِشْ حياةَ غيرِك، ولا تلبسْ قميصًا أكبر من حجمك، ولا تنظرْ إلىٰ من هو فوقك في أمورِ الدنيا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ»(٢).

قال المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « قوله: «وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ» أي: أعطاك «تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ» فإنَّ من قنِعَ بما قُسِمَ له ولم يطمعْ فيما في أيدي الناس استغنىٰ عنهم، ليس الغنىٰ بكثرة العَرَضِ ولكن الغِنىٰ غنىٰ النفس »(٣). وقيل: كتب عُمَر بن الْخَطَّاب رضىٰ الله

---

(١) رواه أحمد (٩٧١٤) والبخاري (١٨٠٥) ومسلم (١١٥١).

(٢) رواه أحمد (٨٠٩٥) والترمذي (١٣١) والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٢)، وابن ماجه (٤٢١٧). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (٥/ ٨) كما قال في المقدمة، والألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٢٧).

عَنْهُ، إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أما بَعْدُ: فَإِن الخيرَ كُلَّهُ فِي الرضا، فَإِن استطعتَ أَن ترضىٰ وإلا فاصبرْ»(١).

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «القناعة مالٌ لا نفادَ له»(٢).

وقال سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لابنه: « يا بُنيَّ: إذا طلبتَ الغِنىٰ فاطلبْه بالقناعة، فإنها مالٌ لا ينفدُ؛ وإياك والطمعَ فإنه فقرٌ حاضر؛ وعليك باليأسِ، فإنك لم تيأسْ من شيءٍ قطُّ إلا أغناك اللهُ عنه »(٣). والمراد باليأس هنا هو اليأسُ عمَّا في أيدي الناس، أما اليأسُ من عطاءِ الله ورحمتِه فإنه مذموم.

وقال أبو حاتمٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: « القناعةُ تكونُ بالقلب، فمن غَنيَ قلبُه غنيتْ يداه، ومن افتقرَ قلبُه لم ينفعْه غِناه، ومن قنِعَ لم يتسخَّطْ، وعاشَ آمنًا مطمئنًا، ومن لم يقنعْ لم يكنْ له في الفوائتِ نهايةٌ لرغبتِه، والجدُّ والحرمانُ كأنهما يصطرعان بين العباد »(٤).

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٤٥).

(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (٣/ ١٦٩).

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٦٣).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (ص/ ١٥٠).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»(١).

قال السِّنديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « قَوْلُهُ: «**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضا**» أَيْ: رِضَا اللهِ تَعَالَىٰ عَنْهُ جَزَاءً لِرِضَاهُ، أَوْ فَلَهُ جَزَاءُ رِضَاهُ »(٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ**»(٣).

لا تتضجَّرْ فتتكدَّر، ولا تطمع فتُكسر، ولا تبذِّر وتُسرِف فتَخسَر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾(٤).

حتى تكون بالعيد سعيدًا: ترفَّع عن الحِقدِ والحَسَدِ والشحناءِ والبغضاء، وتخلَّق بأخلاقِ الذي يُحسِنُ إذا أُسيء إليه، ويعفو إذا

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٣١) والترمذي (٢٣٩٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠) والصحيحة (١٤٦).

(٢) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (٢/ ٤٩٣).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٢٠٧٠٥) ومسند أحمد (٢١٦٦٦) والسنة لابن أبي عاصم (٤٢٦) وصححه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١٠٥٨) من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد جاء عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) [سورة الإسراء: ٢٧].

أُخطئ عليه، ويُعطي إذا حُرِم، ويصبرُ إذا ظُلم؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»(١).

حتى تكون بالعيد سعيدًا: أحسنْ ما استطعت إلىٰ الناس، ولا تطلب مُقابِلَهُ إحسانًا، فإنَّ الإحسانَ بمقابلٍ أدنىٰ مرتبةً وأقلُّ منزلة، وهي من بابِ المكافئة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الذي إذا قَطَعَت رحمُه وصلَها»(٢).

وقد كان العربُ يتفاخرون بالعفوِ والصفحِ والإحسانِ إلىٰ الآخرين من غيرِ مقابلةٍ ولا مكافأة، حتىٰ قَالَ الْمُقَنَّعُ الكِنديُّ:

وإنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا

فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُم ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

وَإِنْ هَبَطُوا غَوْرًا لأَمْرٍ يَسُوءُنِي ... طَلَعْتُ لَهُمْ فِي مَا يَسُرُّهُمْ نَجْدَا

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٥).

وَإنْ قَـدَحُوا لِـي نَـارَ زَنْدٍ تَشِينُنِي ... قَـدَحْتُ لَهُـمْ فِـي نَـارِ مَكْرُمَـةٍ زَنْـدَا

وَإنْ بَـادَهُونِي بِالْعَـدَاوَةِ لَـمْ أَكُـنْ ... أُبَـادِهُهُمْ إِلَّا بِمَـا يَبْعَـثُ الرُّشْـدَا

وَإنْ قَطَعُـوا مِنِّـي الأَوَاصِـرَ ضَـلَّةً ... وَصَـلْتُ لَهُـمْ مِنِّـي الْمَحَبَّـةَ وَالْـودَّا

وأُعطِـيهمُ مـالي إذا كنـتُ واجِـدًا ... وإن قـلَّ مـالي لم أكلفْهُـمُ رِفـدًا

ولا أَحْمِـلُ الحِقْـدَ القَـدِيمَ عَلَيهِـمُ ... وَلَيْس كَرِيمُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا[١]

حتى تكون بالعيد سعيدًا: كُنْ متفائلًا؛ فالفألُ حُسْنُ ظنٍّ بالله وتعلُّقٌ برجائه، التفاؤل استعانةٌ بالموجود لتحصيل المفقود، وهو تقويةٌ للعزم، وباعثٌ علىٰ الجِدّ، ومعونةٌ علىٰ الظَّفَر.

التفاؤل يقلِبُ العلقمَ زُلالاً، والصحراءَ جَنَّـة، والحنظلَ عسلاً، والدارَ الضيّقةَ قصرًا، والقِلَّةَ غِنًىٰ، وهل يشعُر بسعَة الدنيا من كان حِذاؤه ضيِّقًا؟!

والتفاؤل مطلوبٌ شرعًا، ومحمودٌ طبعًا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ»[٢].

(١) حماسة البحتري (ص/ ٤٦٩) وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص/ ١٧٤) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٩٣)، وابن ماجه (٣٥٣٦)، وابن حبان (٦١٢١)، وأصله عند البخاري (٥٧٥٤)، ومسلم (٢٢٢٣).

وحتىٰ تكون بالعيد سعيدًا: عليك بصلةِ الرحمِ وحُسنِ الخُلُق، وحُسْنِ الجوار، فإنَّ هذه الثلاثَ يُعمِّرُ الله بها الديار، ويُبارِكُ بسببها في الأعمار؛ عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجُوَارِ يُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»(١).

وفي الأعيادِ فرصةٌ لمن أراد أن يُصحِّحَ العلاقةَ بينه وبين أقاربه، ولإزالةِ الشحناء وكسرِ حاجزِ القطيعة التي قد تحصلُ بسببِ ما يجري بين الناسِ في العادةِ من الخلافِ، ولكنَّ الاستمرار في القطيعةِ والشحناء لا يُقرُّه شرعٌ ولا يرضاه ذو قلبٍ سليمٍ وطبعٍ كريم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله إنه هو الغفور الرحيم.



---

(١) رواه أحمد (٢٥٢٥٩) والبغوي في شرح السنة (٣٤٩١). وصححه شعيب في تحقيق المسند (٢٥٢٥٩).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات، وبفضلِهِ تُحصَّلُ الدرجات، وبكرمِه تُبدَّلُ الخطيئات، الحمد لله علىٰ تمامِ الشهر وكمالِ الفضل، فالفضلُ لك وحدك لا شريك لك؛ فتقبل منَّا واعفُ عنا وتجاوز عن تقصيرنا وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

اللهُ أكبرُ ينجلي بسماعِها ... همٌّ جَثا فوق الفؤادِ وكدَّرا

اللهُ أكبرُ كم بها من قُوةٍ ... نعلو بها إن شاء ربي للذُّرى

اللهُ أكبر كم تهزُّ مشاعري ... طوبى لمن ذكرَ الإلهَ وكبَّرا

عبادَ الله: إنَّ مما يُسنُّ فعله في يومِ العيدِ هو الصدقةُ وفعلُ المعروفِ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَىٰ وَيَوْمَ الْفِطْرِ. فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ. فَإِذَا صَلَّىٰ صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ، قَامَ فَأَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ. فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِبَعْثٍ ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ. أَوْ

كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ بِهَا. وَكَانَ يَقُولُ: «**تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا**»(١).

ويُستحبُّ للمسلم أن يوسِّعَ علىٰ أهلِه وأقاربِه من غيرِ إسرافٍ ولا تجاوزٍ إلىٰ الحرام.

ويُستحبُّ للمسلمِ أنْ يُوسِّع علىٰ عُمَّالِه ومَنْ تحتَ يدِه، وأن يَشعُروا بفرحةِ العيدِ مع المسلمين.

وفي موجةِ هذا الفرحِ وسُنةِ التوسعَةِ علىٰ العيال، ينبغي أنْ لا ننسَىٰ زَرعَ بهجةِ العيدِ في بيوتِ الفقراءِ والمساكينِ، وأن نُطِلَّ إطلالةَ الرحماءِ علىٰ الأيتامِ والأراملِ والصغارِ، والمرضىٰ والمسنِّين، فكُلٌّ مِنْ هؤلاءِ له حقٌّ كبيرٌ.

وأمَّا صدقةُ الفِطرِ فإنَّ أفضلَ وقتٍ لإخراجِها هو قبلَ صلاةِ العيد، ومن لم يُخرجْها فليبادرْ بإخراجها، ولا يجوزُ تأخيرُ إخراجِها عن يومِ العيد، ومن فعل فهو آثمٌ ويُخرجها بعد ذلك.

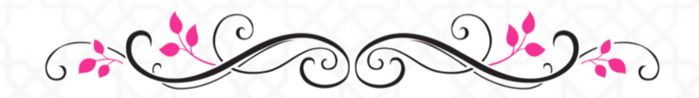
---

(١) رواه مسلم (٨٨٩).

ويجدرُ التذكيرُ بصيامِ الستِّ من شوال، فإن صيامَها بعد رمضان نافعٌ، كالنافلةِ مع الصلواتِ المكتوباتِ، ويجوزُ أن يصومَها المسلمُ بعد العيدِ مباشرةً أو متراخيةً عن العيد، مجتمعةً أو متفرقةً، ومن بادرَ بصيامِها فهو أفضل، لا سيِّما إن كان من أصحابِ الأعمالِ الذين يشقُّ عليهم الصيامُ بعد انتهاء إجازةِ العيد، فالأفضل أن يُبادرَ بصيامِها مادامَ في إجازة، وهذا خيرٌ له وأسهل عليه.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»(١).

تقبَّلَ الله منا ومنكم الصيامَ والقيامَ وسائرَ الطاعاتِ والأعمالَ الصالحات. الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارَك علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.



(١) رواه مسلم (١١٦٤).



٩ - خطبة جمعة بعنوان/

[طلبُ الكرامة في لزومِ الاستقامة]

الحمدُ لله الذي أمر بالتقوىٰ، وحثَّ علىٰ طاعتِه في السِّر والنجوىٰ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، أمرَ بعبادتِه حتىٰ يأتيَ اليقين، ونهىٰ عن اتباعِ سبيلِ المفسدين.

وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسوله، خيرُ من صلىٰ وصام، وأكرمُ من تهجَّد وقام، وأفضلُ من عبَدَ الله علىٰ الدوام، صلواتُ الله وسلامه عليه صلاةً مستمرَّةَ الدوام، جديدةً علىٰ مرِّ الليالي والأيام. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾(١).

أما بعد: فإن خيرَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمد - صلىٰ الله عليه وآله وسلم -، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].



عبادَ الله: إنَّ اللهَ أمرَ بالاستقامةِ علىٰ الطاعاتِ وحثَّ عليها، ونهىٰ عن المعاصي وتوعَّد عليها، وأرشدَ عبادَه أجمعين، إلىٰ ملازمة الدين حتىٰ يأتيَهم اليقين.

قال تعالىٰ في كتابِه الكريم: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾[1]. **وقال تعالىٰ:** ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾[2].

وقال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾[3]. وكثيرٌ من الآياتِ جاء فيها الأمرُ بالاستقامةِ والحثُّ عليها بمعانيها المتنوعة.

فإنَّ معنى الاستقامة: المداومةُ والاستمرارُ علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ومن معانيها أيضًا: لزومُ هديِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، - وهو الصراطُ المستقيم - من غير انحرافٍ عنه يمنةً ولا يسرةً،

---

(١) [سورة هود: ١١٢].

(٢) [سورة الشورىٰ: ١٥].

(٣) [الزخرف: ٤٣].

قال الله تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾(١).

ولذلك قالوا في معنىٰ الاستقامة: «هي سلوكُ الصراطِ المستقيم، وهو الدينُ القويمُ من غير تعويجٍ عنه يمنةً ولا يسرة، ويشملُ ذلك فعلَ الطاعاتِ كلِّها الظاهرةِ والباطنة، وتركَ المنهيّاتِ كلِّها كذلك، فصارت هذه الوصيةُ جامعةً لخصالِ الدينِ كلِّها»(٢).

قال الحكيم الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالاستقامة فِي السّير أَن لَا يلْتَفت يَمِينًا وَشمَالًا، وَلَا يُعرِّج علىٰ شَيْء فيشتغل بِهِ دونه»(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَالِاسْتِقَامَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، آخِذَةٌ بِمَجَامِعِ الدِّينِ. وَهِيَ الْقِيَامُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الصِّدْقِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

(١) [سورة الأنعام: ١٥٣].

(٢) العمدة من الفوائد والآثار الصحاح في مشيخة شهدة (ص/ ٦٥). جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١٩٣).

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٢/ ٢١٨).

وَالِاسْتِقَامَةُ تَتَعَلَّقُ بِالْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْأَحْوَالِ، وَالنِّيَّاتِ. فَالِاسْتِقَامَةُ فِيهَا: وُقُوعُهَا لِلَّهِ، وَبِاللهِ، وَعَلَىٰ أَمْرِ اللهِ »(١).

وقَالَ العلماءُ: « مَعنَىٰ الِاسْتِقَامَةِ لُزُومُ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، قالوا: وهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِم، وَهِيَ نِظَامُ الأُمُورِ »(٢).

عبادَ الله: إنَّ الاستقامةَ نهجُ الأنبياء والمرسلين، وإليها دعَوا أقوامَهم، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾(٣).

وقال تعالىٰ مخاطبًا موسىٰ وهارون: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾(٤).

ومن استقامَ علىٰ دينِ الله فإنه مُبشَّرٌ برحمةِ الله ورضوانِه، وتُطمْئنُه الملائكةُ عند مفارقةِ أهلِهِ وإخوانِه، بأنْ لا خوفَ عليه

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠٦ ط الكتاب العربي).

(٢) رياض الصالحين ت الفحل (ص/ ٤٩).

(٣) [سورة الأنعام: ١٦١].

(٤) [سورة يونس: ٨٩].

ولا مجيءَ لأحزانِه، جزاءً له علىٰ استقامتِه وإيمانِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾[١]. أي: آمَنُوا باللهِ ووحَّدوه، ثم استقاموا علىٰ ذلك وعلىٰ طاعتِهِ إلىٰ أن تُوُفُّوا عليها؛ كما قال عمرُ بنُ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: استَقَامُوا واللهِ علىٰ طاعتِهِ، ولم يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثعالب. وملخَّصُهُ: اعتَدَلُوا علىٰ طاعة الله تعالىٰ، عَقدًا وقولاً وفعلاً، وداموا علىٰ ذلك[٢].

وقال الربيعُ: « أعرضوا عما سِوىٰ الله. وقال فضيلُ بنُ عِياضٍ: زهِدوا في الفانيةِ ورغِبوا في الباقية. وقال بعضهم: استقاموا إسرارًا كما استقاموا إقراراً. وقيل: استقاموا فعلًا كما استقاموا قولًا »[٣].

ولقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصِي بالاستقامةِ مَن استوصاه، ويحثُّ علىٰ ملازمتها من ودَّعه أو أتاه: فعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ

(١) [سورة فصلت: ٣٠].

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٢١).

(٣) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير (٢٣/ ٢٨٩).

الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وجوابُهُ بقوله: «قُل: آمَنتُ باللهِ، ثُمَّ استَقِم»؛ دليلٌ علىٰ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ جوامعَ الكَلِمِ، واختُصِرَ له القول اختصارًا؛ كما قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخبِرًا بذلك عن نفسه؛ فإنّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جمَعَ لهذا السائلِ في هاتَين الكلمتَين معانيَ الإسلامِ والإيمانِ كلَّها؛ فإنَّه أمرَه أن يُجدِّدَ إيمانَهُ متذكِّرًا بقلبِه، وذاكرًا بلسانِه.

ويقتضي هذا استحضارَ تفصيلِ معاني الإيمانِ الشرعيِّ بقلبِه، التي تقدَّم ذكرُهَا في حديثِ جبريل، وأَمرِهِ بالِاستقامةِ علىٰ أعمالِ الطاعات، والانتهاءِ عن جميع المخالفات؛ إذ لا تتأتَّىٰ الاستقامةُ مع شيءٍ من الاعوجاجِ، فإنَّها ضِدُّه »(٢).

(١) رواه مسلم (٣٨) وأحمد (١٥٤١٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٢١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «اعْبُدِ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ زِدْنِي، قَالَ: «وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ زِدْنِي، قَالَ: «اسْتَقِمْ وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ»(١).

ولأهميةِ الاستقامةِ؛ فقد كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو اللهَ أنْ يرزُقَه إياها وهو خيرُ المستقيمين وأفضلهم وإمامهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويُرشدُ أصحابَه إلىٰ الدعاءِ بذلك؛ فأما دعاؤه؛ فمنه ما رواه مسلمٌ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٨) والحاكم في المستدرك وصححه (١٧٩) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٢٢٨).

(٢) رواه مسلم (٧٧٠).

وأما وصيتُه بها غيرَه فمِمّا يدلُّ عليه؛ ما جاء عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**»(١).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَالْمَعْنَىٰ: إِذَا سَأَلْتَ الله الْهُدَىٰ فأخْطِرْ بِقَلْبِك هِدايَة الطَّرِيقِ، وسَلِ الله الاسْتِقامَة فِيهِ، كَمَا تَتَحرَّاهُ فِي سُلوك الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّ سالِكَ الفَلاة يَلْزَمُ الْجَادَّةَ وَلَا يُفَارِقُهَا، خَوفًا مِنَ الضَّلَالِ. وَكَذَلِكَ الرَّامي إِذَا رَمَىٰ شَيْئًا سَدَّد السَّهْم نَحْوَه لِيُصيبَه، فأخْطِرْ ذَلِكَ بِقَلْبِك لِيكون مَا تَنْوِيه مِنَ الدُّعاء عَلَىٰ شاكِلَة مَا تَسْتَعمِله فِي الرَّمْي »(٢).

عبادَ الله: إنَّ أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتدلُّ علىٰ أنَّ الاستقامةَ تعني الثباتَ علىٰ الدينِ، والاستمرارَ في طلبِ مرضاةِ رب العالمين، والسيرَ علىٰ سيرِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابتِه

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٥٣).

والتابعين، فمتىٰ انقطعَ العبدُ عن المواصلةِ فقد خالفَ الاستقامةَ بالانقطاع، ومتىٰ خالفَ هديَ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلَك غيرَ سبيلِ المؤمنين؛ فقد خالف الاستقامة بالاعوجاج.

ويدل علىٰ هذين المعنيين الحديثين التاليين:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ». ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَىٰ جَنبَتَي

---

(١) الآية في [سورة الأنعام: ١٥٣] والحديث رواه الترمذي (٢٤٥٤)، وابن ماجه (٣٤٢٨)، وأحمد (١/ ٣٨٥) (٣٦٥٢)، والدارمي (١/ ٢٣٢)، وابن حبان (١/ ١٨٠) (٦). قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (٦/ ١٩): هو الصواب، وقال المناوي في تخريج أحاديث المصابيح (١/ ١٤١): رجاله ثقات، وحسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (١/ ١٣١) كما أشار إلىٰ ذلك في المقدمة، وصححه لغيره الألباني في ظلال الجنة (١/ ١٣).

الصِّرَاطِ سُورٌ فِيهِ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَىٰ رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَوَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ. فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْ، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلِجْهُ. قَالَ: فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَىٰ رَأْسِ الصِّرَاطِ: الْقُرْآنُ، وَالَّذِي مِنْ فَوْقِهِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»(١).

ومَنِ استقامَ علىٰ طاعةِ الله ولم ينقطعْ، وسارَ علىٰ طريقِ رسول الله فلم يُبدِّل، فإنه مُبشَّرٌ بالنعيمِ والأمان، والرحمةِ والرضوان، وأعالي الجِنان؛

قال الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾(٢).

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص/ ٣٨٦)، وأحمد في المسند (١٧٦٣٤) والطبري في التفسير (١٨٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢١٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (١٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٨٨٧) والوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١١٧٩).

(٢) [سورة الأحقاف: ١٣ – ١٤].

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ الريَاحي: « استقامُوا: أَخْلصُوا لله الدّينَ والدعوةَ وَالْعَمَل »(١).

وعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: « اسْتَقَامُوا عَلَىٰ طَاعَةِ الله »(٢).

وقال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « استقامُوا علىٰ أمرِ الله تعالىٰ، فعمِلُوا بطاعتِه، واجتنبوا معصيتَه »(٣).

وبيِّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المسلمَ المُسَدَّدَ الحريصَ علىٰ الاستقامة ليُدركُ منازِلَ المُكثرينَ من الطاعاتِ، فعن عبدِ الله بنِ عمروٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنَّ المسلمَ المُسَدّدَ لَيُدْرِكُ درجةَ الصوَّامِ القوامِ بآياتِ اللهِ، بحُسْنِ خُلُقه، وكَرَمِ ضَرِيبته»(٤).

---

(١) أثر عمر وأبي العالية في رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي (ص/ ١٢٨).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٥٤).

(٣) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير (٢٣/ ٢٨٨).

(٤) رواه أحمد (٦٦٤٨) والطبراني في الكبير (١٤٧٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٤٩) وأحمد شاكر في تحقيق المسند (٦٦٤٨).

وأخبَر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ المؤمنَ المستقيمَ لا يجتمعُ مع الكافرِ في النار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ». قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ قَتَلَ كَافِرًا، ثُمَّ سَدَّدَ»(١). أي: ثم استقامَ علىٰ الدين حتىٰ أتاهُ اليقين.

ولقد كان السلفُ الصالحُ يتواصَون بالاستقامةِ ويحثُّ بعضُهم بعضًا علىٰ ملازمتِها ومجاهدةِ النفسِ علىٰ الاستمرارِ في طريقها، فقد روىٰ البخاريُّ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا، فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضلالاً بعيداً»(٢).

وقولُه: «استقيموا»؛ أي: اثبتُوا علىٰ الصراطِ المستقيمِ؛ أي: الكتابِ والسُّنَّة، ولازموه فإنكم مسبوقون، فربما تلحقون بهم بعضَ اللّحوق (٣).

---

(١) رواه مسلم (١٨٩١) وأبو داود (٢٤٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٨٥٣).

(٣) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١٧/ ٢٢٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ لُزُومُ الِاسْتِقَامَةِ »(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.



---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠٦ ط الكتاب العربي).

(٢) [سورة فصلت: ٣٠ - ٣١].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبْغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ: فإنَّ النفسَ لها إقبالٌ وإدبار، وتراجعٌ وإصرار، وتواضعٌ واستكبار، واعترافٌ وإنكار، والعاقلُ من يسعىٰ في إصلاحِ نفسِه، ولم يستجب لوساوسِ الشياطين من الجنِّ وبني جنسِه.

ولذلك قال بعضُ السلف: «كُنْ صَاحِبَ الِاسْتِقَامَةِ، لَا طَالِبَ الْكَرَامَةِ. فَإِنَّ نَفْسَكَ مُتَحَرِّكَةٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ. وَرَبَّكَ يُطَالِبُكَ بِالِاسْتِقَامَةِ»(١).

وقيل: إِنَّ الاستقامةَ لا يطيقُها إلا الأكابر؛ لأنَّ فيها خروجًا عَنِ المعهودات ومفارقةً لبعضِ الرُّسومِ والعاداتِ، وهي القيامُ بَيْنَ يدي الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ حقيقةِ الصدق؛ ولذلك قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) ذكره القشيري (ص/ ٤٧٣) عن أبي علي الجوزجاني.



«اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»[١]. وَقَالَ الواسطي: « الخصلة الَّتِي بِهَا كمُلتِ المحاسنُ وبفقدها قبُحَتِ المحاسن؛ هي الاستقامة.

ويقال: الاستقامةُ فِي الأقوالِ بتركِ الغِيبةِ، وَفِي الأفعالِ بنفي البدعةِ، وَفِي الأعمالِ بنفي الفَترةِ »[٢].

فأوصي نفسي والسامعينَ، لأجل إقامةِ الدينِ والثباتِ عليه؛ بالمُجاهدةِ والمُصابرة، والمُداومةِ والمُثابرة، دونَ انقطاعٍ أو اعوجاج، ومن غيرِ نكوصٍ ولا اختلاج.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار بعضُ السلف بقوله: « إنَّ خُلاصة الاستقامة: العملُ بالتنزيلِ، والخوفُ من الجليل، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليوم الرحيل.

هذا والاستقامةُ: توبةٌ بلا إصرار، وعملٌ بلا فتور، وإخلاصٌ بلا التفات، ويقينٌ بلا تردُّد، وتفويضٌ بلا تدبير، وتَوكُّلُ بلا توهُّم.

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٣٦) وأحمد في المسند (٢٢٣٧٨) وابن المبارك في الزهد والرقائق (١٠٤٠) وابن ماجه (٢٧٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٥٢) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٥٧).

والاستقامةُ درجةٌ بها كمالُ الأمور وتمامُها، وبوجودِها حصولُ الخيرات ونظامُها، والاستقامةُ أثرٌ من آثارِ الدين، وثمرةٌ من ثمارِ الإيمانِ الصادق، ونتيجةُ التقوىٰ، ونظامُ الأمر، وعُنوانُ التوفيق، وأساسُ الهداية، وأصلُ النجاح، وسرُّ الفلاح، ومن لم يستقمْ في جميع أحوالِه، ويُؤدِّ ما عليه من الواجب نحوَ ربِّه، ونبيِه، ونحوَ دينِه، ونفسِه، وأهلِهِ، ووطنِه، وجيرانه، وأصدقائه، والناسِ أجمعين؛ فقد ضلَّ سعيُه، وخاب أملُه، واضطربَ نظامُ سيره، واختلَّ ميزانُ تصرُّفِه، وتقلَّب في أسبابِ الشقاء»[١].

ألا يا عباد الله: فلْنستقِمْ علىٰ دينِ الله، ولْـنسلكْ سبيلَ رسولِ الله، ولنجاهدْ أنفُسَنا علىٰ نيلِ مرضاةِ الله، لا سيَّما عند الخروجِ من بعضِ المواسمِ الفاضلة، فنُحارِب الملَلَ والفتورَ، حتىٰ تكونَ العباداتُ متواصِلة، والطاعاتُ متكامِلة، ولْنَستَعِنْ بالله عَزَّوَجَلَّ ونسأله الإعانةَ والتوفيق، والثباتَ علىٰ أقومِ طريق، حتىٰ ننجو من الانحراف، ونسلم من الانقطاع والاختلاف.

---

(١) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه - الدرة (٨/ ٤٤٧).

إنَّ المؤمن مُطَالَبٌ بدوامِ الاستقامة، ولذلك يسألُها ربَّه في كلِّ ركعةٍ من صلاتِه عند قراءةِ قولِه تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾(١). ولمَّا كان من طبيعةِ الإنسان أنه قد يُقصِّرُ في امتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النواهي، لذلك أرشدَه الشرعُ إلىٰ ما يُعيدُه لطريقِ الاستقامة، فقال تعالىٰ مشيراً إلىٰ ذلك: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾(٢). فأشارَ إلىٰ أنه لابُدَّ من تقصيرٍ في الاستقامةِ المأمورِ بها، وأنَّ ذلك التقصيرَ يُجْبَرُ بالاستغفارِ المُقتضي للتوبةِ والرجوعِ إلىٰ الاستقامة.

ومع خروجِ شهرِ رمضان فلا ينبغي للمسلمِ أنْ يترك طاعاتٍ اعتادها، ولا يتركَ مساجدَ ارتادَها، بل يحرِصُ علىٰ ما يستطيعُ من الطاعات، ويستمرُّ علىٰ الإكثارِ من القرُبات، وليجعلِ المسلمُ لنفسِهِ وِردًا من القرآن لا يقطعُه، وحظـًا من قيام الليل لا يَترُكُه،

---

(١) [الفاتحة: ٦].

(٢) [فصلت: ٦].

حتىٰ وإنْ كان قليلًا، فالمهمُّ أن يواصلَ المسلمُ الطاعاتِ، وأن يستمرَّ في فعلِ الخَـيراتِ والقُـرُبات، «وأَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَىٰ اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»(١).

ولا تنسَوا يا عبادَ الله: أنْ تصوموا الستَّ من شوال، فإنها سّنةٌ حثَّ عليها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيَّنَ فضلَ صيامِها؛ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»(٢). ولا مانعَ من صيامِها متتاليةً أو مُتفرقة، متقدمةً أو متأخرةً، وتقديمُها أفضل لعمومِ أفضليةِ المبادرةِ والمسارعةِ في فعلِ الخيرات.

قال بعض العلماء رَحِمَهُ اللَّهُ: « لو أخَّر صيامَ السّتِّ من شوالٍ عن أولِ الشهر ولم يبادرْ بها، فإنه يجوز لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ» فظاهرُه أنه ما دامتِ الستُّ في شوال، ولو

---

(١) رواه مسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه مسلم (١١٦٤).

تأخرتْ عن بدايةِ الشهرِ فلا حرَج، لكنَّ المبادرةَ وتتابُعَها أفضلُ من التأخيرِ والتفريقِ، لما فيه من الإسراعِ إلىٰ فعلِ الخير، ويُستثنىٰ يومُ العيدِ لأنه لا يجوزُ صومه »(١).

وصلّوا يا عباد الله علىٰ خيرِ خلقِ الله؛ محمدِ بنِ عبدِ الله، كما أمركم بذلك ربكم فقال قولاً كريما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾(٢).

اللهم صلِّ وسلمْ وباركْ علىٰ عبدِك ورسولك محمدٍ البشيرِ النذير، والسراجِ المنير، وارْضَ اللهمَّ عن خلفائه الأربعةِ أبي بكر وعمرَ وعثمانَ وعلي، وارضَ اللهم عن بقيةِ أصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وعنَّا معهم بعفوك وكرَمِك وإحسانِك يا ربَّ العالمين.

---

(١) الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع (٦/ ٤٦٦).

(٢) [الأحزاب:٥٦].

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم ألِّف بين قلوبِ المسلمين، ووحِّد صفوفهم علىٰ الحقِ المبين، وأصلح قادتهم، واجمع كلمتهم علىٰ الحق يا ربَّ العالمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلحْ أئمتَنا وولاةَ أمورنا.

اللهم اغفرْ لنا ولوالدينا ولوالد والدينا ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياءِ منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أصلحْ أولادَنا ونساءنا، واجعلهم قرةَ أعينٍ لنا، اللهم اجعلنا وإياهم هداةً مهتدين غير ضالينَ ولا مُضلِّين يا ربَّ العالمين، وآتنا اللهمَّ في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.







١٠ - خطبة جمعة بعنوان/

[التذكير المختصر ببعضِ صفات سيدِ البشر]

الحمدُ لله الذي خلقَ خَلْقَه أطوارًا، وصرَّفهمْ في أطوارِ التخليقِ كيف شاء عِزّةً واقتدارًا، وأرسلَ الرُّسلَ إلىٰ المُكلّفين إعذارًا منه وإنذارًا، فأتمَّ بهم علىٰ من اتَّبع سبيلَهم نعمتَه السابِغة، وأقام بهم علىٰ من خالفَ مِنهاجَهم حُجّتَه البالِغة.

أحمدُه، والتوفيقُ للحمدِ من نِعَمِه، وأشكرُه، والشكرُ كفيلٌ بالمزيدِ من فضلِه وقِسَمه، وأستغفرُه وأتوبُ إليه من الذنوبِ التي تُسبِّبُ زوالَ نعمتِه وحلولَ نِقَمِه.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، كلمةٌ قامت بها الأرض والسماوات، وفطرَ الله عليها جميعَ المخلوقات، وعليها أُسِّستِ الملةُ، ونُصِبت القبلةُ، ولأجلها جُرِّدتْ سُيوفُ الجِهادِ، وبها أمرَ الله سبحانه جميعَ العباد، وهي فطرةُ الله التي فطرَ الناسَ عليها، ومفتاحُ عبوديتِه التي دعا الأممَ علىٰ أَلسُنِ رسلِه إليها،

وهي كلمةُ الإسلام، ومفتاحُ دارِ السلام، وأساسُ الفرضِ والسُّنَّة، ومن كان آخر كلامِه "لا إله إلا اللهُ" دخلَ الجنّة.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وخِيرتُه من خلقِه، وحُجَّتُه علىٰ عبادِه، وأمينُه علىٰ وحيه.

أرسلَه رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، ومَحجّةً للسالكين، وحُجّةً علىٰ المعاندين، وحسرةً علىٰ الكافرين.

أرسله بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ بين يدي الساعةِ بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأنْعَمَ به علىٰ أهلِ الأرض نعمةً لا يستطيعون لها شكورًا.

فصلَّىٰ اللهُ وملائكتُه وأنبياؤه ورسلُه والصالحون من عبادِه عليه، كما وحَّد اللهَ، وعرَّف به، ودعا إليه؛ وسلَّم تسليمًا كثيرًا(١).

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلن، والمحافظةِ علىٰ الصلاةِ في أوقاتِها وأماكِنِها وحثِّ الأهلِ

---

(١) هذه المقدمة منتقاة من أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٣ – ٧).

والأولادِ علىٰ ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾(١).

أيها المسلمون عبادَ الله :

هذا تذكيرٌ مختصر، ببعضِ أوصافِ سيدِ البشر، صفوةُ الله من العباد، وشفيعُ الخلائقِ في المعاد، صاحبُ المقامِ المحمود، والحوضِ المورود، الناهضُ بأعباء الرسالةِ والتبليغِ الأعصم، والمخصوصُ بشرفِ السعايةِ في الصلاحِ الأعظم، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله صلاةً مستمرةَ الدوام، جديدةً علىٰ مرِّ الليالي والأيام.

ومن ذا يُعرِّف به فهو المعروف، ومثلُ هذا المقامِ لا يسعُ لذكرِ ما قيلَ فيهِ من الوُصوف، ولكنْ من بابِ التذكيرِ بفضائلِه، والحثِّ علىٰ الاقتداءِ بشمائلِه، والإغاظةِ لشانئيهِ المبتُورِين، والإسعادِ لمُحبِّيه المُتَّبعين.

أتـاكَ حَـدِيثٌ لا يُمَـلُّ سَـماعُهُ ... شَـهِيٌّ إليْنَـا نَثْـرُهُ ونِظَامُـهُ

إِذَا ذكَرَتْـهُ الـنَّفْسُ زَالَ عَنَاؤُهَـا ... وزَالَ عَـنِ القَلْـبِ المُعَنَّـى ظَلامُـهُ

(١) [سورة آل عمران: ١٠٢].



هو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطّلبِ بنِ هاشم. أُوحيَ إليهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سنِّ الأربعين، وبقيَ في مكةَ ثلاثةَ عشرَ عامًا، وفيها أُسريَ به إلىٰ بيتِ المقدِس، وعُرِجَ به إلىٰ السماواتِ العُلا، وفُرضتْ عليه الصلواتُ الخمسُ، ثم هاجرَ وبقيَ في المدينةِ عشرَ سنين.

أما صفاتُه الخَلْقية: فقد قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالْآدَمِ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلَا بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللهُ عَلَىٰ رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلَىٰ رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بيضاء»(١).

وأما وجهُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: فقد كان يَشعُّ نورًا، ويُضفي علىٰ من نظرَ إليهِ بهجةً وسرورًا، سُئل البراءُ بنُ عازبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أكان

---

(١) رواه البخاري (٥٥٦٠) ومسلم (٢٣٤٧).

وجهُ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مثلُ السيفِ؟ قال: «لا، بل مثل القمر»(١).

وقال كعبُ بنُ مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ... وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ منه»(٢).

صلى عليه ربُّنا وصحبِهِ وحزبِهِ وكلِّ مؤمنٍ بهِ
إِذا ذكرتْهُ النَّفسُ زال عناؤُها وزالَ عَنِ الْقَلْبِ الْمُعَنَّى ظلامُهُ

وأما مصافحتُه وطيبُ رائحتِه: فقد قال أبو جُحَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «أخذتُ بيدِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فوضعتُها علىٰ وجهي، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِائحةً مِنَ الْمِسْكِ»(٣).

بل قال أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ، وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥٩).
(٢) رواه البخاري (٤١٥٦) ومسلم (٢٧٦٩).
(٣) رواه البخاري (٣٣٦٠).

وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

يا رب صلِّ على النبيْ والآلِ وصحبِهِ دومًا بكلِّ حالِ

وقد وصفته أمُّ معبدٍ في حديثها الطويل، وفيه، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمنْطَقِ، فَصْلٌ لَا هَذْرَ وَلَا نَزْرَ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعٌ لَا يَأْسَ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَىٰ أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ.

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٣) ومسلم (٢٣٣٠). واللفظ لمسلم.

قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: « هُوَ وَاللهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا أَمْرُهُ مَا ذُكِرُ بِمَكَّةَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ وَلَأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا »(١).

صـــلى عليـــه ربُّنـــا ومجّـــدا والإلِ والصَّـــحبِ دوامًـــا ســـرمدًا

وأما نومه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»(٢).

صـــلَّى عليـــه اللهُ ربـــي وعلـــى أصـــحابه وآلِـــه ومَـــنْ تـــلا

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (١/ ١٧٨) وتاريخ الطبري (١١/ ٥٧٨) والمعجم الكبير للطبراني (٣٦٠٥) واللفظ له. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٧٩).

معاني الكلمات المذكورة في حديث أم معبد: قَوْلُهَا: (ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ): تُرِيدُ ظَاهِرَ الْجَمَالِ. (أَبْلَجُ الْوَجْهِ) تُرِيدُ مُشْرِقُ الْوَجْهِ مُضِيئُهُ. (لَمْ تَعِبْهُ ثجلة ولم تزريه صُعْلَةٌ). وَالثُّجْلَةُ: عِظَمُ الْبَطْنِ وَاسْتِرْخَاءُ أَسْفَلِهِ. وَالصُّعْلَةُ: صِغَرُ الرَّأْسِ. (وَالْوَسِيمُ): الْحَسَنُ الْوَضِيءُ وَكَذَلِكَ الْقَسِيمُ. وَ(الدَّعَجُ): السَّوَادُ فِي الْعَيْنِ وَغَيْرِهِ. (وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ) وَهُوَ الطُّولُ. (فِي صَوْتِهِ صَهَلٌ) وَيُرْوَىٰ (صَحَلٌ) أَيْ: كَالْبُحَّةِ، وَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ حَادًّا. (فِي عُنُقِهِ سَطَعٌ) أَيْ: طُولٌ. (إِنْ تَكَلَّمَ سما). تريد عَلَا بِرَأْسِهِ أَوْ يَدِهِ.

وَقَوْلُهَا فِي وَصْفِ مَنْطِقِهِ: (فصل لا نزر وَلَا هَذْرٌ) تُرِيدُ أَنَّهُ وَسَطٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

وَقَوْلُهَا: (لَا يَأْس مِنْ طُولٍ) يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: إِنَّهُ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الَّذِي يُؤْيِسُ مُبَارِيَهُ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَصْحِيفًا، وَأَحْسَبُهُ: (لَا بائن من طُولٍ). وَقَوْلُهَا: (لَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ) لَا تَحْتَقِرُهُ وَلَا تَزْدَرِيهِ. (مَحْفُودٌ) أَيْ: مَخْدُومٌ، (مَحْشُودٌ) هُوَ مِنْ قَوْلِكَ حَشَدْتُ لِفُلَانٍ فِي كَذَا: إِذَا أَرَدْتَ أَنَّكَ أَعْدَدْتَ لَهُ وَجَمَعْتَ. وقيل: الْمَحْشُودُ: الْمَحْفُوفُ. وحشده أَصْحَابُهُ: أَطَافُوا بِهِ. وَقَوْلُهَا: (لَا عَابِسٌ) تُرِيدُ لَا عَابِسَ الْوَجْهِ.

يُنظر كتاب دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٨٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٦). من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأما أخلاقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:** فقد بلغ المقامَ الأعلىٰ، والمكانةَ المُثلىٰ، وأدلَّةُ ذلك أكثر من أنْ تُحصَر، وأشهر من أنْ تُذكَر، ولكن سنذكرُ طرَفًا يسيرًا منها؛ فقد روىٰ البخاريُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ:

لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: «أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾(١) وحِرزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّىٰ يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»(٢).

صلى عليه الله ذو الجلال ... وحِزبِه وصحبِه والآلِ

---

(١) [سورة الأحزاب: ٤٥].

(٢) رواه البخاري (٢٠١٨)

وكان من أخلاقِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الأخذُ باليسيرِ فيما لا إثمَ فيه؛ عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بَيْنَ أمرين إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»(١).

سَمحٌ كريمٌ دونَ منٍّ أو زللْ صلى عليه الله ما قطرٌ نزلْ

وأما حِلمُه عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: فقد كان يشملُ العامَّ والخاص، والقريبَ والبعيد، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، تَبِعَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، فَأَلْجَئُوهُ إِلَىٰ سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ وَهُوَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ: «**رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، أَتَخشَوْنَ عَلَيَّ الْبُخْلَ؟ فَوَاللهِ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَينكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا جَبَانًا، وَلَا كَذَّابًا**»(٢).

ويَروي أنسُ بنُ مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، مثالًا من أَروعِ الأمثلةِ في الحِلمِ وأجملِها، قال أنس: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٩٧٩) والصنعاني في المصنف (٢١١١٦). واللفظ له.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أثرت فيها حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ له بعطاء»(١).

فتأمل رعاك الله! كيفَ أنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يُعاقبْ ذلك الأعرابيَّ ولم يعاتبْه ولم يُظهرْ غضبَه عليه أو يؤنِّبْهُ، بل تبسَّمَ في وجهه، ثم أمرَ له بعطاء، فجمعَ له بين بذلِ المعروف المعنوي - وهو طلاقةُ الوجه - وبين المعروفِ الحِسِّي - وهو العطاء -.

ولم يكن ذلك الحِلمُ مخصوصًا بلحظةٍ عابرة، أو حالةٍ نادرة، بل كان ذلك خلقُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ الدوامِ، ويشهدُ بذلكَ من لازمَ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخدَمَه عشرةَ أعوام.

قال أنس بنُ مالك خادمُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَىٰ

---

(١) رواه البخاري (٥٧٣٨) ومسلم (١٠٥٧).

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ، فَلْيَخْدُمْكَ. قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟»(١).

ولم يكنْ من عادتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعيبَ الطعامَ ولا يتأفَّفَ ممن حولَه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟»(٢).

فليس له في الحِلمِ نِدٌّ ولا مماثلُ عليه صلاةُ الله ما سال سائلُ

أما شجاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فقد بلغ في الشجاعةِ مبلغًا عظيمًا، حتىٰ إنَّ أصحابَه الشجعانَ ليتَّقُون به إذا حمي الوطيسُ، ويلتفون حولَه إذا ماجتِ العِيس؛ واحتدَمَ الخميس بالخميس.

قَالَ عَبَّاسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ

---

(١) رواه البخاري (٢٦١٦) ومسلم (٢٣٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢٣٠٩).

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّىٰ الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ».

قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**». فَقَالَ عَبَّاسٌ (وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا): فَقُلْتُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ. قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ»، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَيَاتٍ فَرَمَىٰ بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ». قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَىٰ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا (١).

وفي صحيح البخاريِّ أنَّ رجلًا قال للبراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أفررتم عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ حنين؟ قال: فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يفر، فلقد رأيتُه وإنه لعلىٰ بغلتِه البيضاء، وإنَّ أبا سفيان آخذٌ بلجامها والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابنُ عبدِ المُطّلَب»(٢).

شجاعتُه فاقتْ شجاعةَ غيرِه　　وقلبٌ قويٌّ في الخطوبِ رزينُ

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يسبقُ الناسَ إلىٰ مكانِ الفزَع، ومصدرِ القلَق، قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ؛ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ

---

(١) صحيح مسلم (١٧٧٥).
(٢) صحيح البخاري (٢٧٠٩).

الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لم تراعوا لم تُرَاعُوا». وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَقَالَ: لقد وجدته بحراً. أو: إنه لبحر[١].

هو الشَّهمُ في سِلمٍ وحربٍ ونجدةٍ ... فليس جوادٌ في الأنامِ يُماثِلُهْ

وأما جوده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فأدلَّتُه كثيرة، وأمثلتُه مستفيضةٌ شهيرة، فلقد كان يُعطي السائلين الشيءَ الذي لا يجدُ غيرَه، وبطيبِ نفسٍ وحسنِ خُلق يَعجبُ منهما السائلون؛

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ، مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا.

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُنِيهَا. فَقَالَ: «نَعَمْ». فَجَلَسَ

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٦) ومسلم (٢٣٠٧).

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ. قَالَ سَهْلٌ: فكانت كَفَنَهُ»(١).

تعوَّدَ بَسطَ الكفِّ حتى لو انَّه ... ثناها لقبضٍ لم تُجَبْهُ أنامِلُهْ
تراهُ إذا ما جِئْتَه متهلِّلاً ... كَأَنَّك تُعطيهِ الَّذي أَنْت سائلُه
ولو لم يكنْ في كفهِ غيرُ نفسِهِ ... لجَادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائِلُهْ
هوَ البحرُ مِن أيِّ النواحِي أتيتَه ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُهْ

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا! فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»(٢).

فهذا النبيُّ المصطفىٰ، والرسولُ المجتبىٰ، إمامُ الأتقياء، وخاتمُ الأنبياء، وسيِّدُ المرسلين، وحبيبُ ربِّ العالمين.

---

(١) رواه البخاري (١٩٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٣١٢).

اللهم ارزقنا حبَّك وحبَّ نبيك، واحشرنا في زمرتِه، ووفِّقنا لمعرفةِ حقِّه وحسنِ متابعتِه.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحكَمِ المُنيفة. قلت ما سمعتم، وأستغفرُ الله لي ولكم من كل ذنبٍ، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي قد أظهَرا	فضلَ الرسولِ للورى وأشهَرا
فضَّله على جميعِ الخلقِ	بحُسْنِ خُلْقِهِ وحُسْنِ الخَلْقِ
أحمدُه سبحانَه كثيرًا	أكرَمَنا بالمصطفى بشيرًا
وزادنا من فضلهِ العظيمِ	ما ليس نُحصِيهِ من النعيمِ

عبادَ الله: إنَّ مقامَ نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلىٰ من أنْ يرفعَه ذكرُ ذاكر، وجنابَه أَحْمَىٰ من أنْ يؤثِّرَ فيه قدحُ منافقٍ أو كافر، فقد زكَّاه العليُّ الأعلىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾(١). قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَلَمْ يُذْكَرْ خُلُقٌ مَحْمُودٌ إِلَّا وَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ. وَقَالَ الْجُنَيْدُ: سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيمًا لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ سِوَى اللهِ تَعَالَىٰ. وَقِيلَ: سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيمًا لِاجْتِمَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِيهِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»(٢) ».

---

(١) [سورة القلم: ٤].

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٧).

وأما مَن يطعنُ في النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فإنَّه مبتورٌ مَدحور، ومخذولٌ مقهور، سواء طالَ به الزمانُ أم قصُر، وأدلةُ هذا وشواهدُه كثيرة؛ فقد تكفَّل الله بنُصْرةِ نبيِّه بعد موتِه وفي حياتِه.

فأمدَّه بملائكتِه المُقرَّبين، وأيَّدَه بنصرِه وبالمؤمنين، وأنزلَ عليه كتابَه المبين، الفارقَ بين الهُدىٰ والضلال، والغيِّ والرشاد، والشكِّ واليقين، فشرحَ له صدْرَه، ووضعَ عنه وزرَه، ورفعَ له ذكرَه، وجعل الذّلةَ والصَّغارَ علىٰ من خالفَ أمرَه، وأقسمَ بحياتِه في كتابه المُبين، وقرَن اسمه باسمه، فإذا ذُكِر ذُكِر معه، كما في الخُطبِ والتَّشهُّد والتأذين.

والذي ينبغي لكلِّ مسلمٍ أن يُحبَّ نبيَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الحبَّ الشرعيَّ النافعَ، ويتعرَّفَ علىٰ سيرتِه وصفاتِه، ويقتديَ به في كلِّ نواحي حياتِه، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾(١).

(١) [سورة النور: ٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾(٢).

فإنَّ دليلَ الحبِّ الصادقِ النافعِ هو الإتِّباعُ والاقتداءُ، ولا يكفي مجردُ الكلامِ والادعاء.

والدعاوى إذا لم يُقيموا عليها بيِّناتٍ أهلُها أدعياءُ

فالنبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاشَ مشمِّرًا في ذاتِ الله لا يردُّه عنه رادّ، صادعًا بأمره لا يصدُّه عنه صادّ، إلىٰ أنْ بلّغَ الرسالةَ وأدّىٰ الأمانةَ ونصحَ الأمةَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ الجهاد؛ فأشرقتْ برسالتِه الأرضُ بعد ظلماتِها، وتألّفتْ به القلوبُ بعد شتاتِها، وامتلأتْ به الدنيا نورًا وابتهاجًا، ودخل الناسُ في دينِ الله أفواجًا.

فلمَّا أكمَلَ الله تعالىٰ به الدينَ، وأتمَّ به النعمةَ علىٰ عبادِه المؤمنين؛ استأثَرَ به ونقلَه إلىٰ الرفيقِ الأعلىٰ، والمحلِّ الأسنىٰ؛

---

(١) [سورة النور: ٥٦].

(٢) [سورة آل عمران: ١٣٢].

وقد ترك أُمَّتَه علىٰ المحجّةِ البيضاء، والطريقِ الواضحةِ الغرّاء(١).

نَشْهدُ بالْحَقِّ بِلا ارْتِيابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتابِ
وأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلا ... بِهِ وكُلَّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلا
وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى ... نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ ... وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلاقِ(٢)

هذا وأكثروا من الصلاةِ والسلامِ عليه في كلِّ الأيام، وخُصُّوا يومَ الجمعة بمزيدٍ من العِنايةِ والاهتمام، واعلموا أنَّ الصلاةَ عليه مِنْ أفضلِ الطاعات، وقد جُمع بعضُ فضائلِها في هذه الأبيات:

يا مَنْ بِحُبِّ المصطفى يَتَعَبَّدُ ... وبِذِكرِ سيرتِهِ فؤادُكَ يَسْعَدُ
إنَّ الصلاةَ على النبيِّ بكثرةٍ ... فيها فضائلُ، جَهْلُها لا يُحمدُ
تُجزى بعَشرٍ في مُقابلِ مرةٍ ... وتُحطُّ أوزارٌ، ويُعلى مقعدُ
والذَّنْبُ يُغْفَرُ، والهموم يَحُلُّها ... ربٌ كريمٌ، بابُه لا يوصَدُ
ولقد أتى في المُكثرين بأنَّهم ... أولى الأنامِ به، فمَنْ يترَدَّدُ؟!

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٣ - ٧).
(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ٤٣).

اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبينا محمدٍ، صلاةً مستمِرَّةَ الدوام، جديدةً علىٰ مر الليالي والأيام.

اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ والتُّقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتِّباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابَه.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وانصر من ينصر الدين، واخذلْ من يخذل المسلمين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا وسائرَ بلاد المسلمين.

اللهم إنا نسألُك حبَّك وحبَّ نبيِّك وحبَّ الأعمالِ التي تُقرِّبنا إليك، وتنفعنا بين يديك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾[١].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذابَ النار. اللهم صلِّ وسلم وبارك علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) [آل عمران: ٨].





١١ - خطبة جمعة بعنوان/

[اللُّمعة في فضائل يومِ الجمعة]

الحمدُ لله الذي جعلَ يومَ الجمُعةِ خيرَ أيامِ الأسبوع، وميَّزَهُ بأكثر من عملٍ مشروع، أحمدُه عدد تكبيرِ الأفرادِ والجموع، وعدد التسبيحِ في السُّجودِ والرُّكوع.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا وحدَه لا شريك له، أمرَ بالسعيِ إلىٰ الذكرِ عندَ النداء، ونهىٰ عن البغيِ وأنواعِ الاعتداء.

وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، خيرُ من بكَّر للجمعة وابتكر، وأكرمُ من سبَّح ربَّه وذَكر، وأصدقُ من خشَعَ لله وادَّكر.

صلواتُ الله وسلامُه عليه ما تتابعتِ الخُطُواتُ إلىٰ الصلوات، وتوالتِ الكلماتُ في الخُطبِ والمحاضرات.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والمحافظةِ علىٰ الصلواتِ في أوقاتِها وأماكِنِها، وحثِّ الأهلِ والأولادِ علىٰ ذلك:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾(١).

أيها المسلمون عبادَ الله: إنَّ مما ينبغي لكلِّ مسلمٍ أن يعلمَه ويستحضرَه، هو فضل يومِ الجمعةِ في الإسلام، ومكانته عند المسلمين، ومعرفة خصائصِه وأحكامِه.

فقد فَضَّل اللهُ يومَ الجمعةِ علىٰ بقيةِ أيامِ الأُسبوع، وجعلَ فيه من الفضائلِ والأحكامِ ما ليس في غيره، بل سمَّىٰ الله سورةً في القرآن بهذا اليوم.

وهو يومٌ عظيمٌ من أيامِ الله، لَمْ نُولِهِ حقَّهُ من العنايةِ والتكريم، ولم نستثمِرْه في الطاعاتِ والقُربات، بل ربما لم نعلمْ خصائصَه ومميزاتِه، ولم نلتزمْ أحكامَه وآدابَه كما ينبغي، إنه سيّدُ الأيامِ علىٰ الإطلاق؛ وهو اليوم الذي ادَّخرَه الله لنا، وأضلَّ عنه مَنْ كان قَبْلَنا.

(١) [سورة الحشر: ١٨].

وهذا اليومُ العظيمُ جعلَه البعضُ من المسلمين يومَ نومٍ طويل، ونزهةٍ ورحلة، وخَصَّصتْ بعضُ النساءِ هذا اليومَ للأسواقِ وأعمالِ المنزل، وغفلت عن حقِّ هذا اليومِ.. ولا بدَّ أنَّ نعرفَ لهذا اليومِ قَدرَه، ونعلمَ خصائصَه؛ حتىٰ نؤديَ حقَّ اللهِ فيه من العبادةِ والطاعةِ وكثرةِ الدعاءِ والصلاةِ علىٰ النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « وكان مِنْ هديِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمُ هذا اليوم، وتشريفُه، وتخصيصُه بعباداتٍ يختصَّ بها عن غيرِه »[١].

ولقد أخبرَ النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ يومَ الجمعةِ سيدُ الأيام، لِمَا اختُصَّ من أحداثٍ جِسام، فعن أبي لُبابةَ البدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ الْأَضْحَىٰ، وَفِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ: خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ آدَمَ وَأَهْبَطَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ آدَمَ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا،**

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد – ط عطاءات العلم (١/ ٤٥٩).

وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيَاحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا هُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»(١). ومنَ المؤسِفِ أن تَستشعِـــرَ الملائكةُ والدوابُّ والشجرُ والحجرُ عَظَمةَ هذا اليومِ وتخشىٰ ما يقعُ فيه، والإنسُ والجانُّ عنه غافلون، وحُقَّ لتلك المخلوقاتِ أنْ تستشعرَ عظَمةَ هذا اليومِ، فهو أعظمُ عندَ الله من يومِ الفطرِ ويومِ الأضحىٰ، وفيه تقومُ الساعة.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عنْ يومِ الجمعة: « وَقَدْ كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ (يَوْمُ الْعُرُوبَةِ)، وَثَبَتَ أَنَّ الْأُمَمَ قَبْلَنَا أُمِرُوا بِهِ فَضَلُّوا عَنْهُ، وَاخْتَارَ الْيَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ الَّذِي لم يقعْ فيه خلقُ آدم، وَاخْتَارَ النَّصَارَىٰ يَوْمَ الْأَحَدِ الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ الْخَلْقُ، وَاخْتَارَ اللهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِي أَكْمَلَ اللهُ فِيهِ الْخَلِيقَةَ »(٢).

إنَّ يومَ الجمعةِ هو يومُ العبادةِ الأعظمُ، ومِنَّـةُ اللهِ علىٰ الأمةِ الإسلاميةِ حيثُ غذاءُ الأرواحِ بعد كدِّ الأسبوعِ في غذاءِ الأبدان؛

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/ ٤٣٠)، وابن ماجه في "سننه" رقم (١٠٨٤) بإسناد حسنه الحافظ العراقي. كما ذكره صاحب البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٧/ ١٥٩). ورواه ابن خزيمة (١٧٢٨) والحاكم (١٠٢٦) وقال: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ. مختصرًا عن أبي هريرة.

(٢) تفسير ابن كثير – ط العلمية (٨/ ١٤٥).



فعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا. فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ. وَكَانَ لِلنَّصَارَىٰ يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»(١).

وقوله: «نَحْنُ الْآخِرُونَ» أي: في الدنيا، و «وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فإن محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمتَّه يُحشرون قبلَ سائرِ الأمم، ويمرُّون علىٰ الصراطِ أولًا، ويُقضىٰ لهم قبلَ سائرِ الخلائقِ، ويتقدَّمون في دخولِ الجنة.

وقوله: «ثم هذا يومُهمُ الذي فُرِضَ عليهم» يعني: الجمعة، «فاختلفوا فيه، فهدانا اللهُ له» معناه: أنَّ الله تعالىٰ أمرَ عباده، وفرَضَ عليهم أنْ يجتمعوا يومَ الجمُعة، فيحمدوا خالقَهم ويشكروا مانِحَهُم، ويشتغلوا بالذكرِ والعبادةِ وما عُيِّنَ لهم.

---

(١) رواه مسلم (٨٥٦).

فقالت اليهود: اليوم يومُ السبت، لأنه يوم فراغٍ وقطعِ عملٍ، فإنَّ الله تعالىٰ فرغَ فيهِ من خلقِ السماواتِ والأرضين، فينبغي أنْ ينقطعَ الناسُ فيه عنْ أعمالِهِم، ويُعرِضُوا عن صنائعِهِم وتدبيرِ معاشهِم ويتفرغوا للعبادة.

وزعمتِ النصارىٰ: أنَّ المرادَ: يومُ الأحد، فإنه يومُ بَدءِ الخلقِ الموجبِ للشُّكرِ والعبادةِ. فهدىٰ اللهُ هذه الأمةَ، ووفَّقهم للإصابةِ حتىٰ عَيَّنُوا الجمعةَ، وقالوا: إنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ الإنسانَ للعبادةِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[١]. وكان خلقُه يومَ الجُمُعةِ، فكانتِ العبادةُ فيه أولىٰ، ولأنه تعالىٰ في سائرِ الأيامِ أوجدَ ما يعودُ نفعُه إليه، وفي الجمعةِ أوجد الإنسانَ نفسَه، والشكرُ علىٰ نعمةِ الوجودِ أهمُّ وأحرىٰ[٢].

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن يوم الجمعة: « إِنَّه الْيَوْمُ الَّذِي يُسْتَحَبُّ أَنْ يُتَفَرَّغَ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ، وَلَهُ عَلَىٰ سَائِرِ الْأَيَّامِ مَزِيَّةٌ بِأَنْوَاعٍ مِنَ

---

(١) [الذاريات:٥٦].

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي المتوفىٰ (٦٨٥هـ) (١/ ٣٨٣).



الْعِبَادَاتِ وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِأَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَوْمًا يَتَفَرَّغُونَ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ وَيَتَخَلَّوْنَ فِيهِ عَنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِبَادَةٍ، وَهُوَ فِي الْأَيَّامِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ فِي الشُّهُورِ، وَسَاعَةُ الْإِجَابَةِ فِيهِ كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ. وَلِهَذَا مَنْ صَحَّ لَهُ يَوْمُ جُمُعَتِهِ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ جُمْعَتِهِ، وَمَنْ صَحَّ لَهُ رَمَضَانُ وَسَلِمَ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ سَنَتِهِ، وَمَنْ صَحَّتْ لَهُ حَجَّتُهُ وَسَلِمَتْ لَهُ، صَحَّ لَهُ سَائِرُ عُمْرِهِ، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ مِيزَانُ الْأُسْبُوعِ، وَرَمَضَانُ مِيزَانُ الْعَامِ، وَالْحَجُّ مِيزَانُ الْعُمْرِ »[١].

عبادَ الله: إنَّ يومَ الجُمعةِ أقسمَ اللهُ به، كما في قوله تعالىٰ:

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾[٢].

ورُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ أنه قَالَ: «الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ»، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (١/ ٣٨٦).

(٢) [سورة البروج: ٣].

(٣) تفسير عبد الرزاق (٣٥٦٤). ورواه الإمام أحمد في مسنده من قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بسندٍ صححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند (٧٩٦٠) وشعيب في تحقيق المسند أيضًا (٧٩٧٣).

وهذا يدلُّ علىٰ فضلِ هذا اليومِ، فالقسَمُ بالشيءِ يدلَّ علىٰ تعظيمِه وعلىٰ عظمةِ المُقسَمِ عليه.

ولقد جاءت أحاديثُ صحيحةٌ، وآثارٌ صريحةٌ، في فضلِ يومِ الجمعة علىٰ بقيةِ الأيام، وإكرامِ أمةِ محمدٍ به علىٰ سائرِ الأنام، فهو خيرُ الأيام، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**»(١).

وفي موطأ مالك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَىٰ الطُّورِ فَلَقِيتُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ فَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ، أَنْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا**

(١) رواه مسلم (٨٥٤).

الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». قَالَ كَعْبٌ: ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ. فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ. فَقَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ؛ فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

قالَ أبو المُطَرِّفِ القُنازعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « وفَضْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ ثَابِتٌ عَنِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَوْجُودٌ في التَّوْرَاةِ، كَمَا قالَ كَعْبٌ لأَبي هُرَيْرَةَ ».

وقولُهُ في الحَدِيثِ: **«مَا مِنْ دَابَّةٍ إلا وَهِي مُصِيخَةٌ يومَ الجُمُعَةِ»** يُريدُ: هي مُسْتَمِعَةٌ مُشْفِقَةٌ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ غَيْرَ الجَنِّ والإنْسِ، فإنَّهم يَغْفُلُون عنْ شَأْنِ يومِ الجُمُعَةِ الذي فيه تَقُومُ السَّاعَةِ، وفي هذا دَلِيلٌ على قُرْبِ مَجِيءِ السَّاعَةِ (٢).

وإنَّ لهذا اليومِ خصائصَ وفضائلَ في الدنيا والآخرة، فمن خصائصه: أنه عيدٌ مُتكررٌ للمسلمين، وردَ النهيُ عن صومِهِ

---

(١) الموطأ (١٦) وصحيح ابن حبان (١٨٨) وصححه الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١٨٢).

(٢) تفسير الموطأ للقنازعي (١/ ١٦٩).

مُنفرداً، مخالفةً لليهودِ والنصارىٰ، وليتقوىٰ العبدُ علىٰ الطاعاتِ الخاصةِ به من صلاةٍ ودعاءٍ وغيرها. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ»(١).

ومن فضائلِ يومِ الجمعة أن صلاةَ الفجرِ فيه في جماعةٍ أفضلُ منها في بقيةِ الأيام؛ عن عبدِ الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللهِ صلاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي جَماعَةٍ»(٢).

ومن فضائلِ يومِ الجمعةِ أنَّ من مات من الصالحين فيه أو في ليلتِه فإنه مُبَشَّرٌ بالسلامةِ من فتنةِ القبر؛ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه (١٠٩٨) والطبراني في الأوسط (٧٣٥٥) وحسنه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٣٢٦).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٤٥) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١١٩).

(٣) رواه الترمذي (١٠٧٤) وأحمد (٦٥٨٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٣).

ومن خصائصِ هذا اليومِ: صلاةُ الجمعةِ التي هي من آكدِ فروضِ الإسلام، ومن أعظمِ مجامعِ المسلمين، وهي أعظمُ من كلِّ مَجْمَعٍ يجتمعون فيه وأفرضِه سوىٰ مَجْمعِ عرفة. ومَنْ تركها تهاونًا بها طبعَ الله علىٰ قلبِه. وقُرْبُ أهلِ الجنةِ يومَ القيامةِ وسبقُهم إلىٰ الزيارةِ يومَ المزيدِ بحسَبِ قُربِهم من الإمامِ يومَ الجمعةِ وتبكيرِهم إليها(١).

وقد شُرعتْ فيه صلاةُ الجمعةِ لجميعِ المُكلَّفينَ القادرينَ علىٰ تَحمُّلِ المسئولياتِ، أوّلَ كلِّ أسبوعٍ في مكانٍ واحدٍ، ليسمعوا فيه الترغيبَ والترهيبَ، والوعدَ والوعيد، ما يحملُهم علىٰ النهوضِ بواجباتِـهمُ الدينيةِ والدنيويةِ: قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾(٢).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط عطاءات العلم (١/ ٤٦١).
(٢) [الجمعة:٩-١٠].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وفي شُهودِ الجمعة شَبَـــهٌ من الحَـجِّ. وروي: أنها حجُّ المساكين. وقال سعيد بن المسيب: شهودُ الجمعةِ أحبُّ إليَّ من حجةٍ نافلة، والتبكيرُ إليها يقومُ مقامَ الهدي على قدْرِ السَّبْقِ، فأولهم كالمُهدي بدنةً، ثم بقرةً ثم كبشًا ثم دجاجة ثم بيضة. وقد روي: إذا سَلِمَتِ الجمعةُ سَلِمَتِ الأيام »(١).

ومن فضائلِ يومِ الجمعة؛ أنَّ شهودَ الجمعةِ يوجبُ تكفيرَ الذنوبِ إلىٰ الجمعةِ الأخرىٰ إذا سلمَ ما بين الجمعتينِ مِنَ الكبائر، كما أنَّ الحجَّ المبرورَ يُكفِّــرُ ذنوبَ تلك السنةَ إلىٰ الحجةِ الأخرىٰ.

ومن الخطأ عند بعض الناس؛ أنْ يتهاون بما سوىٰ الجمعة من الصلواتِ ظنًّا خاطئًا منه أنَّ الجمعةَ إلىٰ الجمعةِ كفارةٌ لما بينهما، وهذا فهمٌ خاطئٌ قاصرٌ عن الصواب، لأن الرسولَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما ذكرَ أنَّ الجمعةَ تكفرُ الذنوبَ الصغائرَ دونَ الكبائرِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ:

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ٢٧٥).



«الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»(١). ولا شكَّ أنَّ تركَ الصلواتِ الخمسِ أو التهاونَ بأدائها من أكبرِ الكبائر.. فلا تصحُّ الجمعةُ ممن هذا حالُه حتىٰ يؤديَ الصلواتِ الخمسَ، فيجبُ المحافظةُ علىٰ الجمعة وعلىٰ جميعِ الصلواتِ في كلِّ الأيام. ومن يتهاونْ أو يتركْ صلاةَ الجمُعة دونَ عذر فهذا جُرْمُه كبيرٌ وذّنْبُه خطير، فقد أخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ: **«مَنْ تركَ ثلاث جُمَعٍ تهاونـًا بها، طَبَعَ الله علىٰ قَلْبِهِ»**(٢).

وفي الحديث الآخر: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ»**(٣). نسألُ اللهَ السلامةَ والعصمةَ من الزَّللِ.

وكما أنَّ لهذا اليومِ مكانَته ومنزلتَه في الحياةِ الدنيا فله كذلك شأنٌ ومنزلةٌ في الحياةِ الأخرىٰ، ففي يومِ القيامةِ يُكرِمُ الله الذين

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) رواه أبو داود (١٠٥٢) والترمذي (٥٠٠) والنسائي في الكبرىٰ (١٦٦٨) وصححه الألباني في المشكاة (١٣٧١) وصحيح الترغيب (٧٢٩). من حديث أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٤٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٤). من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُعْـــنَونَ بهذا اليومِ، ويؤدُّون حقَّ الله فيه في الدنيا؛ فعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنّ الله يَبْعَثُ الأَيَّامَ يَوْمَ القِيَامَةِ علىٰ هَيْئَتِها وَيَبْعَثُ الجُمُعَةَ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً لأَهْلِها فَيَحُفُّونَ بِها كالعَرُوسِ تُهْدَىٰ إِلَىٰ كَرِيمِها تَضِيءُ لهُمْ يمشون في ضوءها أَلْوَانُهُمْ كالثَّلْجِ بَياضًا رِياحُهُمْ تَسْطَعُ كالمِسْكِ يَخوضُونَ فِي جِبالِ الكافورِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلانِ مَا يُطْرِقُون تَعَجُّبًا حَتّىٰ يَدْخُلوا الجَنّةَ لَا يُخالِطُهم أحَدٌ إلاّ المُؤَذِّنونَ المُحْتَسِبُونَ**»(١).

ويومُ الجمعُةِ عند أهلِ الجنةِ هو يومُ المزيد؛ ففي تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾(٢)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «يَتَجلَّىٰ لهم كُلَّ جُمُعَةٍ»(٣).

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: « ويومُ الجمعة سيِّدُ الأيامِ، وأعظمُ كرامةٍ تحصُلُ لأمةِ محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فإنها تحصل يومَ

---

(١) أخرجه الحاكم (١٠٢٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٤١) وابن خزيمة (١٧٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٧٢).

(٢) [سورة ق: ٣٥].

(٣) الرد علىٰ الجهمية للدارمي – ت الشوامي (ص١١١).

الجمعة، فإنَّ فيه بعثَهم إلىٰ منازِلِهم وقصورِهِم في الجنةِ، وهو يومُ المزيدِ لهمْ إذا دخلوا الجنة. وهو عيدٌ لهم في الدنيا، ويومٌ فيه يُسعفهم الله تعالىٰ بطلباتِهم وحوائجِهم، ولا يردُّ سائلَهُم »(١).

ولأهل الجنةِ سوقٌ يأتونَه في كلِّ جُمعةٍ، ويُكرَمُونَ فيه بزيادةِ النعيمِ والجمالِ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا**»(٢).

قال القرطبيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: « وسُمّي سوقًا لقيامِ الناسِ فيها علىٰ ساقٍ، فيُحتملُ أنْ يكونَ سوقُ الجنةِ عبارةً عن مُجتمَعِ أهلِ الجنةِ، ومحلِّ تَزاورِهِم، ويؤيدُ هذا أنَّ أهلَ الجنةِ لا يفقِدونَ شيئًا حتىٰ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط عطاءات العلم (١/ ٤٦١).

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٣).

يحتاجوا إلىٰ شرائه من السَّوقِ، ويُحتملُ أنْ يكونَ سوقًا مشتملًا علىٰ محاسِنَ مُشْتَهَياتٍ مُسْتَلَذَّاتٍ، تُجمع هنالك مُرَتَّبَةً مُحسَّنةً، كما تُجمعُ في الأسواق، حتىٰ إذا جاء أهلُ الجنةِ فرأوها، فمَنِ اشتهىٰ شيئًا وصلَ إليه من غيرِ مُبايعةٍ ولا مُعاوضةٍ، ونعيمُ الجنةِ وخيرُها أعظمُ وأوسعُ من ذلك كلِّه، وخُصَّ يومُ الجمعة بذلك لفضيلتِه، ولِمَا خصَّه اللهُ تعالىٰ به من الأمورِ التي تقدَّم ذكرُها، ولأنه يومُ المزيد؛ أي: اليوم الذي يُوفَّىٰ لهم ما وُعِدُوا به من الزيادةِ. وأيامُ الجنةِ تقديريةٌ؛ إذ لا ليلَ هناك ولا نهار، وإنما هناك أنوارٌ متواليةٌ لا ظُلمةَ معها »(١).

معاشر المسلمين: هذا بعضُ ما ورد في فضلِ يومِ الجمعةِ، هذا اليومُ الذي لم يَعُدْ له وزنُهُ الحقيقي عند كثيرٍ من المسلمين، بل رُبَّما اعتبره بعضُهم فُرصةً لكثرةِ النومِ والتنوّعِ في المآكلِ والمشاربِ لا أكثر، باعتبارِ أنه يومُ إجازةٍ من الأعمالِ الدُّنيويةِ.. وربما فهمَه آخرون علىٰ أنه يومُ متعةٍ جسديةٍ ولهوٍ ولعب،

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ١٧٨).



ويَقضيهِ كثيرٌ من المسلمين في اللهوِ وضياعِ الأوقاتِ، ويتركون فيه الجُمَع والجماعات.

وهذا الفعلُ إذا صار عادةً عند الشخصِ فإنَّ الخُسرانَ كبيرٌ والتقصيرَ ظاهرٌ، فيومُ الجمعة يومُ عبادةٍ وذكرٍ لله سبحانه، ويومُ دعاءٍ وابتهالٍ، ويومُ قراءةٍ للقرآن، وصلاةٍ علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأوصي نفسي وإخواني بأنْ لا نغفلَ عن فضلِ هذا اليومِ، ولا نُفوِّتَ علىٰ أنفسِنا الإكثارَ من الخيراتِ، في يومِ الجمعة وفي بقيةِ الأيام والساعات، فإنَّ العمر يمضي سريعًا، وكلنا سيصير ميتًا صريعًا، فالسعيد من استعد للآخرةِ وأَعَد، والشقي من تمادىٰ وما اجتَهد.

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكَمِ المُنيفة، أقول ما سمعتم وأستغفِرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين. فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.





الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، أحمدُه تعالىٰ وأشكره، وأثني عليه الخيرَ كلَّه، وأسألُه المزيدَ من فضلِه، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ في ربوبيتِه وإلهيتِه وأسمائه وصفاتِه، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه، اللهم صلِّ وسلمْ عليه وعلىٰ إخوانه وآله، وارضَ اللهمَّ عن أصحابِه وأتباعِهِ إلىٰ يومِ الدِّين.

عباد الله:

إنَّ المتأمِّلَ للأحكامِ والآدابِ المتعلِّقةِ بيومِ الجمعة، يوقِنُ بأنه أعظمُ يومٍ للعبادةِ. ومن تأمَّل هذه الخصائصَ، وتذكَّر هذه الفضائلَ فإنه سيجعلُ يومَ الجمعةِ يومًا لتجديدِ التوبةِ إلىٰ اللهِ وتقويةِ الصِّلةِ بالله، والحرصِ علىٰ تغذيةِ القلبِ بالإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ لا يومَ لهوٍ وغفلة، فإنَّ الغفلةَ مذمومةٌ، والغافلون سيندمون علىٰ غفلتِهم، وعلىٰ فواتِ أوقاتِهم وذهابِ أعمارِهم، لا سيّما الأوقاتِ المباركةِ، والأيامِ الفاضلةِ كيومِ الجمعة.

وقد عُلِمَ عن السَّلفِ تعظيمُ يومِ الجُمُعة والإكثارُ من النوافلِ، وتنويعُ العباداتِ فيه، فعن عقبةَ بنِ علقمةَ قال: « لقيتُ الأوزاعيَّ يومَ الجمعة رائحًا إلىٰ الجمُعةِ علىٰ بابِ المسجدِ فسلَّمتُ عليه ثم دخل، فاتَّبعتُه فأحصيتُ عليه قبلَ خروجِ الإمام صلاتَه أربعًا وثلاثين ركعةً، كان قيامُه وركوعُه وسجودُه حسنًا كله »[١].

وعن عَبَايَة بن رِفاعة قال: أَدْرَكَنِي أَبُو عَبْسٍ وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُمَا اللهُ عَلَىٰ النَّارِ»[٢].

حتىٰ غيرُ الصالحين كانوا يُعظِّمونَ يومَ الجمعةِ، وتَقِلُّ جُرأتهم فيه علىٰ المعاصي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْفُجُورِ يَحْتَرِمُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهُ، وَيَرَوْنَ أَنَّ مَنْ تَجَرَّأَ فِيهِ عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ عَجَّلَ اللهُ عُقُوبَتَهُ وَلَمْ يُمْهِلْهُ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدِ اسْتَقَرَّ عِنْدَهُمْ وَعَلِمُوهُ

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٠٧) والبغوي في شرح السنة (٢٦١٨)، والتِّرْمِذِيّ (١٦٣٢).

بِالتَّجَارِبِ، وَذَلِكَ لِعِظَمِ هذا الْيَوْمِ وَشَرَفِهِ عِنْدَ اللهِ، وَاخْتِيَارِ اللهِ سُبْحَانَهُ لَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَيَّامِ »[١].

وكان السلفُ يرون أنه أعظمُ الأيامِ وأفضَلُها، فقد سُئِلَ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَأَجَابَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ، وَيَوْمُ النَّحْرِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْعَامِ.

قال ابن القيم: « وغيرُ هذا الجوابِ لا يسلمُ صاحبُه من الاعتراضِ الذي لا حيلةَ له في دفعِهِ »[٢].

ألا فلنعظِّمْ ما عظَّم الله، ولنحرصْ علىٰ طاعةِ الله، قبلَ فواتِ الأوانِ، فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل.

هذا وصلوا وسلموا علىٰ نبيكِم، فإنَّ الإكثارَ من الصلاةِ عليه سببٌ للقُرْبِ منه يومَ القيامةِ. اللهم صلِّ وسلمْ علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين. اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (١/ ٦٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٥/ ٢٨٩) وبدائع الفوائد - ط الكتاب العربي (٣/ ١٦٢).

انصرْ من نصرَ الدين، واخذلْ من يخذُل المسلمين، اللهم اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين. اللهم آتِ نفوسَنا تقواها وزكِّها أنتَ خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم توفَّنا مسلمين وألحِقنا بالصالحين، واغفرْ لنا ولوالِدِينا أجمعين.





١٢ - خطبة جمعة بعنوان/

[اللُّمعة في سُنن يوم الجمعة]

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾(١). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾(٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾(٣).

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [النساء: ١].

(٣) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ خيرَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد - صلىٰ الله عليه وآله وسلم -، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إنَّ يومَ الجمعةِ خيرُ الأيامِ، وقد وفَّقَ اللهُ أُمَّـةَ محمدٍ لاختيارِهِ من بينِ سائرِ الأنامِ، ولقد فضَّلَ اللهُ هذا اليومَ ببعضِ الأعمالِ والآدابِ، وجعلَ لمن عمِلَ بها الكثيرَ من الأجرِ والثواب، فمن حافظ علىٰ ما ورد فيها من السُّننِ الثابتةِ الصحيحةِ، فإنه يُثابُ ويكْرَمُ، ويحظىٰ بالأجورِ التي هي خيرُ مَغْنَم.

وهاكم بعضَ سُننِ يومِ الجُمعةِ، والأعمالَ التي يُستحبُّ أنْ نُكثِرَ منها في يومِها وليلتِها، وسأذكرُها بِحسَبِ وقتِها، ثمَّ العامَّةَ منها، فمن ذلك:

يُستَحَبُّ قراءةُ سورتي السجدةِ والإنسانِ في صلاةِ الفجرِ من يومِ الجمعةِ، للحديثِ الواردِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ:

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾(١). و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾»(٢). وقراءةُ السجدةِ تكونُ في الركعةِ الأولىٰ، وفي الركعةِ الثانيةِ سورةُ الإنسان، فمن استطاعَ أنْ يقرأَ بهما فليفعل، فإنّ ذلك من متابعةِ النبي ﷺ والعملِ بسُنَّتِه، ومن استكثَرَ قراءتَهما أو استثقلَ تلاوتَهما فيجوزُ أنْ يقرأَ بغيرِهما، ولا يصلحُ أنْ يقرأَ بعضًا منهما لئلا يوهمَ نفسَه والناسَ أنه قد عملَ بالسُّنةِ، فإنَّ تجزئةَ السننِ بهذه الطريقةِ مكروهٌ مذمومٌ، لمخالفتِه لعملِ النبي ﷺ.

قال ابنُ القيّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَلَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ بَعْضَهَا أَوْ يَقْرَأُ إِحْدَاهُمَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ، فَإِنَّهُ خِلَافُ السُّنَّةِ، وَجُهَّالُ الْأَئِمَّةِ يُدَاوِمُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ »(٣).

ومن الأخطاءِ أنَّ بعضَ الناسِ يظنُّ أنَّ المقصودَ من قراءةِ سورةِ السجدةِ هو سجودُ التلاوة! فيذهب بعضهم إلىٰ قراءةِ أيِّ آيةٍ فيها

---

(١) [سورة السجدة: ١-٢].

(٢) رواه مسلم (٨٧٩).

(٣) زاد المعاد (١/ ٣٦٩). وسياق كلام ابن القيم كان عن قراءة سبح والغاشية في صلاة الجمعة، والعلة واحدة.

سجودُ تلاوةٍ عامدًا، ويظنُّ أنه قد أتىٰ بما يقومُ مقامَ سورةِ السجدة! وهذا خطأٌ في فَهمِ المقصودِ، وخطأٌ في استبدالِ سُنةٍ بما ليس بسنةٍ، ولذلك قالَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَيَظُنُّ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنَّ الْمُرَادَ تَخْصِيصُ هَذِهِ الصَّلَاةِ بِسَجْدَةٍ زَائِدَةٍ، وَيُسَمُّونَهَا سَجْدَةَ الْجُمُعَةِ، وَإِذَا لَمْ يَقْرَأْ أَحَدُهُمْ هَذِهِ السُّورَةَ اسْتَحَبَّ قِرَاءَةَ سُورَةٍ أُخْرَىٰ فِيهَا سَجْدَةٌ... وَالسَّجْدَةُ جَاءَتْ تَبَعًا لَيْسَتْ مَقْصُودَةً حَتَّىٰ يَقْصِدَ الْمُصَلِّي قِرَاءَتَهَا حَيْثُ اتَّفَقَتْ »(١).

وأمَّا الحكمةُ من قراءةِ السورتين، فالأصلُ أنه يُستحبُّ قراءتُهما متابَعةً للنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا كافٍ للامتثالِ والاقتداء، وزيادةً علىٰ ذلك؛ فقد قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: « إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي فَجْرِ الْجُمُعَةِ؛ لِأَنَّهُمَا تَضَمَّنَتَا مَا كَانَ وَيَكُونُ فِي يَوْمِهَا، فَإِنَّهُمَا اشْتَمَلَتَا عَلَىٰ خَلْقِ آدَمَ، وَعَلَىٰ ذِكْرِ الْمَعَادِ وَحَشْرِ الْعِبَادِ، وَذَلِكَ يَكُونُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ فِي قِرَاءَتِهِمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ تَذْكِيرٌ لِلْأُمَّةِ بِمَا كَانَ فِيهِ وَيَكُونُ »(٢).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (١/ ٣٦٤).

(٢) المصدر السابق.

ويُتسحبُّ الاغتسالُ في يومِ الجمعةِ؛ للحديثِ الواردِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كل محتلم»(١).

والمرادُ بالمُحتَلمِ هنا البالغ، أي: مَنْ وصَلَ إلىٰ سنِّ البلوغِ فيشمله هذا الخطابُ، كما ذكره النوويُّ رَحِمَهُٱللَّهُ(٢).

وأما حُكمُ الغُسلِ في يومِ الجمعة ففيه كلامٌ كثير للعلماء، وخلاصتُه ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في زاد المعاد فقال: « وَهُوَ أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ جِدًّا، إلىٰ أن قال: وَلِلنَّاسِ فِي وُجُوبِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: النَّفْيُ، وَالْإِثْبَاتُ، وَالتَّفْصِيلُ بَيْنَ مَنْ بِهِ رَائِحَةٌ يَحْتَاجُ إِلَى إِزَالَتِهَا فَيَجِبُ عَلَيْهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ فَيُسْتَحَبُّ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ لِأَصْحَابِ أحمد »(٣).

ويُستَحبُّ التطيّبُ في يومِ الجمعةِ، فإنَّ في التطيُّبِ مع الاغتسالِ يومَ الجمعة توفيةً للشروطِ التي من أتىٰ بها أُكرمَ بتكفيرِ السيئاتِ،

---

(١) رواه البخاري (٨٥٥) ومسلم (٨٤٦).

(٢) المجموع شرح المهذب (٤/ ٥٣٣) ورياض الصالحين بعد حديث رقم (١١٥٢).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد - ط الرسالة (١/ ٣٦٥).

ونالَ مغفرةً للخطيئاتِ، كما جاء في الحديثِ الواردِ عَنْ سَلمَانَ الخَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَغْتَسِلُ الرَّجُلُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، ثُمَّ يَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَرُوحُ فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى»(١).

ويُسَنُّ تطييبُ المساجدِ وتنظيفُها في يومِ الجمعة خاصَّةً، وفي بقية الأيام عامَّةً، فَقَدْ ذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُجْمِرِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ أَنْ يُجَمَّرَ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ كُلَّ جُمُعَةٍ حِينَ يَنْتَصِفُ النَّهَارُ(٢). وَلِذَلِكَ سُمِّيَ نُعَيْمٌ الْمُجْمِرَ. وتجميرُ المسجد معناه: تطييبه بالبخور.

ويُستحبُّ للمسلمِ في يومِ الجمعةِ أنْ يتطيبَ ويلبسَ أحسنَ ما عنده من الثياب، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ

---

(١) رواه البخاري (٨٨٣) وابن أبي شيبة (٥٥٦٣)، وأحمد (٢٤١٢٦)، والدارمي (١٦٦٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٧) وتهذيب الكمال (٣/ ١٤٢١) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦٥).

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنبَرِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ: «مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ لَوِ اشْتَرَىٰ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، سِوَىٰ ثَوْبِ مِهْنَتِهِ»(١).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ، وَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طُهُورَهُ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، وَمَسَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ وَلَمْ يَلْغُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَىٰ»(٢).

ويُستحَبُّ للمسلمِ أنْ يُبكِّرَ في ذَهابِه إلىٰ المسجدِ لصلاةِ الجمعة، وهذه سنةٌ يُقصِّرُ فيها كثيرٌ من المسلمين، حتىٰ قيل: إنَّ أوَّل سنة هجَرها المسلمون هي سنةُ التبكيرِ إلىٰ صلاةِ الجمعة.

وقد جاء في فضلِ التبكيرِ أحاديث كثيرةٌ، ومنها؛ حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ، يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَىٰ

---

(١) رواه ابن ماجه (١٠٩٥) وأبو داود (١٠٧٨) والطبراني ٢٢/ (٧٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٥).

(٢) رواه ابن ماجه (١٠٩٧) وأحمد (٢١٥٣٩) وابن خزيمة (١٧٦٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦٤).

مَنَازِلِهِمُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ، وَاسْتَمَعُوا الْخُطْبَةَ، فَالْمُهَجِّرُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ كَالْمُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ كَالْمُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ كَالْمُهْدِي كَبْشًا حَتَّىٰ ذَكَرَ: الدَّجَاجَةَ وَالْبَيْضَةَ»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فجعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ التَّعْجِيلَ فِيهِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ بَدَلًا مِنَ الْقُرْبَانِ، وَقَائِمًا مَقَامَهُ، فَيَجْتَمِعُ لِلرَّائِحِ فِيهِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الصَّلَاةُ وَالْقُرْبَانُ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ راح فِي الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[٢].

(١) رواه النسائي (١٣٨٦) وابن خزيمة (١٧٦٩) وأحمد (٧٢٥٨) وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٣٨٥).

(٢) رواه البخاري (٨٤١) ومسلم (٨٥٠). زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٨٦).

ومن جملةِ معاني قولِه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾[١]. أي: السابقون في الدُّنيا إلىٰ الجُمُعاتِ هم السابقون في يومِ المزيدِ في الآخرةِ »[٢].

وقال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وجعلَ اللهُ التبكيرَ إلىٰ الجُمُعةِ كالهدي؛ فالمُبَكِّـــرُ في أولِ ساعةٍ كالمُهدي بدَنةً، ثم كالمُهدي بقرةً، ثم كالمُهدي كبشًا، ثم كالمُهدي دجاجةً، ثم كالمهدي بيضةً، ويومُ الجمعةِ يومُ المزيدِ في الجنةِ الذي يزورُ أهلُ الجنةِ فيه ربَّــهم ويتجلىٰ لهم في قَـــدْرِ صلاةِ الجُمعة »[٣].

ومن السُّننِ في يومِ الجمعة؛ كثرةُ الصلاةِ نفلًا قبلَ خروجِ الإمامِ إلىٰ الخطبةِ، بدليلِ حديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ ما بينه وبين الجمعة الأخرىٰ**»[٤].

---

(١) [سورة الواقعة: ١٠].

(٢) مجموع الفتاوىٰ - ابن تيمية - (٦/ ٤٠٦).

(٣) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٧٦).

(٤) رواه البخاري (٨٤٣).

فَنَدَبَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ مَا كُتِبَ لَهُ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ عَنْهَا إِلَّا فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْإِمَامِ، وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وَتَبِعَهُ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قالوا: خُرُوجُ الْإِمَامِ يَمْنَعُ الصَّلَاةَ وَخُطْبَتُهُ تَمْنَعُ الْكَلَامَ، فَجَعَلُوا الْمَانِعَ مِنَ الصَّلَاةِ خُرُوجَ الْإِمَامِ لَا انْتِصَافَ النَّهَارِ[١].

وفي المسجدِ يُسنُّ أن يدنوَ من الإمامِ، وأن يقتربَ من الخطيبِ، وأن يتقدمَ إلىٰ أولِ مكانٍ لم يُسبقْ إليه، لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «احْضُرُوا الذِّكْرَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتَبَاعَدُ حَتَّىٰ يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ دَخَلَهَا»[٢]. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ»[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٦٦).

(٢) رواه أحمد (٢٠١١٨) وأبو داود (١١٠٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٦٥). عن سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) رواه مسلم (٤٣٨).

ثم يُشرعُ الْإِنْصَاتُ لِلْخُطْبَةِ إِذَا سَمِعَهَا وُجُوبًا، فَإِنْ تَرَكَهُ كَانَ لَاغِيًا، وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ. وَفِي الْمُسْنَدِ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالَّذِي يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: أَنْصِتْ، فَلَا جُمُعَةَ لَهُ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ»(٢).

وعَنْه قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَسَّ الْحَصَىٰ فَقَدْ لَغَا»(٣).

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: « وجمهورُ العلماءِ علىٰ أنه يجبُ الإنصاتُ يومَ الجمعة بشروعِ الإمام في الخُطبةِ، وهو المرويُّ عن عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «وكانوا يفعلونَه في زمانِه... واتفقوا علىٰ أنَّ النهيَ عن الكلامِ يستمرُّ ما دام يتكلمُ بما يُشرعُ التكلمُ به

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٦٥) والحديث رواه أحمد برقم (٢٠٣٣). وحسنه الأرناؤوط كما في حاشية زاد المعاد (١/ ٣٧٧).

(٢) رواه البخاري (٨٩٢) ومسلم (٨٥١).

(٣) رواه ابن ماجه (١٠٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٥٣).

في الخطبة، مِنْ حَمدِ الله والثناءِ عليه، والصلاةِ علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقراءةِ القرآن، والموعظةِ وغير ذلك» »[١].

وقد أفتىٰ العلماء بأنه: لا يجوزُ تَشميتُ العاطسِ، ولا ردُّ السلامِ علىٰ من سلَّمَ عليك والإمامُ يخطبُ علىٰ الصحيحِ من أقوالِ أهلِ العلم؛ لعمومِ نهيِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن الكلامِ أثناءَ الخُطْبَةِ[٢].

ويَجِبُ علىٰ الحاضرينَ في أثناءِ خُطبةِ الجُمعةِ الاستماعُ للخطبةِ والإنصاتُ، ويحرُمُ عليهم الكلامُ والحركةُ التي هي من بابِ العبَثِ، والتسوُّكُ من الحركةِ التي لا تجوزُ حالَ الخُطْبةِ؛ لأنَّ هذا ليس وقتُه[٣].

ويُسَنُّ للمُستمعِ أنْ يتحوَّلَ مِنْ مكانِه إذا غلبَه النُّعاسُ، لحديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَقُولُ:

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٨/ ٢٨٤).

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية (٧/ ١٢٩) الرئيس/ ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٣) فتاوىٰ اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية (٧/ ١٢٨) الرئيس/ ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ.

«إذا نَعَسَ أحَدُكُم وهو في المَسجِدِ يَومَ الجُمُعَةِ فليَتَحَوَّلْ مِن مَجلِسِه ذَلِكَ إلَىٰ غَيرِه»(١).

ثم يُسَنُّ للإمامِ أنْ يقرأَ في صلاةِ الجمعةِ سورةَ الأعلىٰ في الركعةِ الأولىٰ وسورةَ الغاشيةِ في الركعةِ الآخِرَة، لحديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ: بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»(٢).

وهناك خطأٌ يقعُ فيه بعضُ الأئمةِ، وقد نبَّه عليه ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: « وَلَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ بَعْضَهَا، أَوْ يَقْرَأُ إِحْدَاهُمَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ، فَإِنَّهُ خِلَافُ السُّنَّةِ، وَجُهَّالُ الْأَئِمَّةِ يُدَاوِمُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ »(٣).

ويُسَنُّ بعد صلاةِ الجمعةِ أنْ يصليَ أربعَ ركعاتٍ أو ركعتين، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا صَلَّىٰ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤٧٤١)، وأبو داود (١١١٩)، والترمذي (٥٢٦)، وابن خزيمة (١٨١٩) من طريق ابن إسحاق به. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٩٠).

(٢) رواه مسلم عن النعمان بن بشير (٨٧٨) ورواه أبو داود (١١٢٥) وابن ماجه (١١٢٠) من حديث أبي عنبة الخولاني، واللفظ لأبي داود.

(٣) زاد المعاد (١/ ٣٦٩).

أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا»(١). وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّهُ كَانَ، إِذَا صَلَّىٰ الْجُمُعَةَ، انْصَرَفَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ. ثُمَّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ ذَلِكَ»(٢).

عبادَ الله: ألا واعلموا أنَّ مما ينبغي الحرصُ علىٰ فعلِهِ وعدم إضاعتِه في يومِ الجمعةِ؛ هو الدعاءُ في ساعةِ الاستجابةِ، وَهَذِهِ السَّاعَةُ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، وهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي لَا يَسْأَلُ اللهَ عَبْدٌ مُسْلِمٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»(٣).

وقد رجَّحَ ابنُ القيمِ وكثيرٌ من العلماءِ أنها في الجزءِ الأخيرِ من يومِ الجمعة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَهَذَا أَرْجَحُ الْقَوْلَيْنِ وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَخَلْقٍ. وَحُجَّةُ

---

(١) رواه مسلم (٨٨١).

(٢) رواه مسلم (٨٨٢).

(٣) رواه مسلم (٨٥٢).

هَذَا الْقَوْلِ مَا رَوَاهُ أحمد فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أبي سعيد وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَهِيَ بَعْدَ الْعَصْرِ»(١).

وفي لفظٍ: «فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»(٢).

وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمَعُوا فتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّهَا آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»(٣).

وَرَوَىٰ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «السَّاعَةُ الَّتِي تُذْكَرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ. وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا صَلَّىٰ الْعَصْرَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، - يقضي الوقتَ في الذكرِ والدعاء - وَهَذَا هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٧٨) والحديث رواه أحمد (٧٦٨٨) وعبد الرزاق في المصنف (٥٥٨٤).

(٢) موطأ مالك (٢٢٨) وسنن أبي داود (١٠٤٨) والسنن الكبرىٰ للنسائي (١٧٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٩٠).

(٣) أخرجه ابن المنذر في الأوسط (١٧٢٧).

السَّلَفِ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ، وَيَلِيهِ الْقَوْلُ بِأَنَّهَا سَاعَةُ الصَّلَاةِ، وَبَقِيَّةُ الْأَقْوَالِ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا»(١).

وأما السفرُ في يومِ الجمعة؛ فإنَّ العلماءَ مُتَّفِقُونَ علىٰ جوازِ السفرِ قبلَ طلوعِ فجرِ يومِ الجمعة، ومُتَّفِقُونَ كذلك علىٰ عدمِ جوازِ السفرِ بعد الزوالِ لوجوبِ حضورِ الجمعةِ في حقِّهِ، واختلفوا في السفرِ ما بين طلوعِ الفجرِ وزوالِ الشمسِ، والأحوطُ تركُه خروجًا من الخلاف، والراجحُ جوازُه وهو قولُ الجمهور(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾(٣). أقول ما سمعتم وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.



(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٨٢).

(٢) فتاوىٰ الشبكة الإسلامية (١١/ ١٢٠٤٥ بترقيم الشاملة آليا).

(٣) [سورة النور: ٥٤].

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد سمعتم جملةً مما تيسَّرَ إعدادُه، وتهيأ إيرادُه، من سُننِ يومِ الجمعة وآدابِها الواردةِ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومما يُسنُّ في هذا اليومِ عمومًا؛ كثرةُ الصلاةِ والسلامِ علىٰ النبيِّ صلىٰ الله عليه، فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ - يَعْنِي بَلِيتَ - فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»(١).

---

(١) رواه أحمد (١٦١٦٢) وابن ماجه (١٠٨٥) وأبو داود (١٠٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْأَنَامِ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، فَلِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مَعَ حِكْمَةٍ أُخْرَىٰ؛ وَهِيَ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَىٰ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللهُ لِأُمَّتِهِ بِهِ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَعْظَمُ كَرَامَةٍ تَحْصُلُ لَهُمْ، فَإِنَّمَا تَحْصُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ فِيهِ بَعْثَهُمْ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمٌ فِيهِ يُسْعِفُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِطَلَبَاتِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ، وَلَا يَرُدُّ سَائِلَهُمْ، وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَىٰ يَدِهِ، فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُكْثِرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِهِ »(١).

ومن خصائصِ يومِ الجمعة: كثرةُ الصدقةِ فيه، قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إِنَّ لِلصَّدَقَةِ فِيهِ مَزِيَّةً عَلَيْهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، وَالصَّدَقَةُ فِيهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ سَائِرِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ كَالصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٦٤).

بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ سَائِرِ الشُّهُورِ. قال: وَشَاهَدْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ يَأْخُذُ مَا وَجَدَ فِي الْبَيْتِ مِنْ خُبْزٍ أَوْ غَيْرِهِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فِي طَرِيقِهِ سِرًّا، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ اللهُ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالصَّدَقَةُ بَيْنَ يَدَيْ مُنَاجَاتِهِ تَعَالَىٰ أَفْضَلُ وَأَوْلَىٰ بِالْفَضِيلَةِ »[١].

ويستحبُّ قِرَاءَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الجمعة، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ النُّورُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**»[٢].

وفي لفظٍ عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ**»[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٠) والدارمي (٣٤٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧١) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البيهقي (٥٩٩٦)، والحاكم (٣٣٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٠).



وروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من قرأ سورة الكهفِ كما نزلت، كانتْ له نورًا يومَ القيامة»**(١).

فيُستحبُّ للإنسانِ أنْ يقرأَ سورةَ الكهفِ في يومِ الجمعةِ، والاحتياطُ أن يكون ذلك من بعدِ طلوعِ الشمسِ ولا فرقَ بين أنْ يقرأَها قبلَ الصلاةِ أو بعدَ الصلاةِ(٢).

عبادَ الله: لقد سمعتم ما يدلُّ علىٰ فضلِ العنايةِ بهذا اليومِ، وكثرةِ الأجورِ لمنْ حرَصَ علىٰ متابعةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتفاءِ أثرِهِ في أعمالِ هذا اليومِ وفي غيرِهِ من الأيام.

وسأختم خطبتي بهذا الحديثِ العظيمِ الذي قِيلَ فيه: إنه جمعَ من الثوابِ مالمْ يجتمعْ في غيرِه من أحاديثِ الفضائلِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ، فاسمعوه - رعاكم الله - واجعلوه نُصبَ أعيُنِكُم، لتقوىٰ العزائمُ وتعظُمَ

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨١ و٩٥٢) والطبراني في الأوسط (١/ ٥/ ١) وصححه الألبانيُّ في الصحيحة (٢٦٥١).

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب للعثيمين (٥/ ٢ بترقيم الشاملة آليا).

الرغبةُ في الإقبالِ على الطاعاتِ ويزداد الحرصُ على الخيراتِ والقُربُات، في هذا اليومِ وفي غيرِه من الأوقاتِ. عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سمعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى، وَلَمْ يَرْكَبْ فَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»(١). فالحمدُ لله على كرَمِه وفضلِه وإحسانهِ على عبادِه، ألا فلنحرصْ على الخيرِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، فإنَّ من الحِرمانِ أن يُفوِّتَ المسلمُ كلَّ هذه الفضائل والحسناتِ من غير عُذرٍ يشغلُه ولا مانعٍ يمنعُه، وصدق الله سبحانه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾(٢).

هذا وصلُّوا وسلِّموا على محمدٍ خيرِ خلقِ الله، فإنَّ الصلاةَ على رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سببٌ لنيل شفاعتِه، والفوزِ بالقُربِ منه ورؤيتِه.

---

(١) رواه أحمد (١٦١٧٣) وابن ماجه (١٠٨٧) وأبو داود (٣٤٥) والطبراني في الكبير (٥٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٠٥).

(٢) [سورة فصلت: ٣٥].

ولقـد أتـى في المُكثـرينَ بـأنهمْ ... أولى الأنـامِ بـه، فمَـنْ يـتـردَّدُ

صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلىٰ من اقتفىٰ أثَـرَه واتَّبع هُداه.

اللهم إنا نسألُك الهُدىٰ والتقىٰ والعفافَ والغِنىٰ، اللهم اجعلنا من الذين يستمعونَ القولَ فيتَّبِعون أحسَنه، اللهم اغفرْ لمن حضرَ هذه الخُطبةَ ولوالديه، وافتحْ للموعظةِ قلبَه وأُذُنيه، اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمِّرْ أعداءَ الدين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمين، برحمتِك يا أرحمَ الراحمين. ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾(١).



(١) [الصافات: ١٨٠].



١٣ - خطبة جمعة بعنوان/

[القولُ البديع في وجوبِ الحجِّ على كلِّ مُستطيع]

الحمدُ لله الذي أوجبَ الحجَّ علىٰ من استطاع، وأمر الناسَ أن يأتوا إلىٰ بيتِه من شتَّىٰ البقاع، أحمدُه عددَ تلبيةِ الحُجَّاجِ في كل مُرْتَفَعٍ وقاع.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريك له، جعلَ الحجَّ خامسَ أركانِ الإسلام، وأَحَـدَ دعائمِه العِظام.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسوله، خيرُ من لبِسَ الإحرام، وأكرمُ من أوضحَ الحلالَ والحرام، وأصدقُ من رسم مكانَ الإحلالِ والإحرام.

صلواتُ الله وسلامُه عليه ما تتابعَ التكبيرُ من الحجاج، وتوالت التلبيةُ منهم في الأوديةِ والجبالِ والفِجاج.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ في السرِّ والعلن والقولِ والفعلِ والنية، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(١).

أما بعد: فإنَّ الحجَّ واجبٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ عاقلٍ بالغٍ مُستطيع، وهو أحدُ الأركانِ الخمسةِ التي بُنِيَ عليها الإسلام، والأصل في وجوبه: الكتابُ، والسنةُ، والإجماعُ، فأما الكتاب فيقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾(٢).

قال المفسرون عند هذه الآية: « اشْتَمَلَ الْأَمْرُ بِالْحَجِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ التَّوْكِيدِ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لِكَوْنِهِ إِلَهًا أَلْزَمَ عَبِيدَهُ هَذِهِ الطَّاعَةَ فَيَجِبُ الِانْقِيَادُ سَوَاءٌ عَرَفُوا وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهَا أَوْ لَمْ يَعْرِفُوا.

---

(١) [النساء:١].

(٢) [آل عمران: ٩٧].

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ ذَكَرَ النَّاس ثُمَّ أَبْدَلَ مِنْهُ ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ وَفِيهِ ضَرْبَانِ مِنَ التَّأْكِيدِ:

أَمَّا أَوَّلًا: فَلِأَنَّ الْإِبْدَالَ تَثْنِيَةٌ لِلْمُرَادِ وَتكْرِيرٌ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةِ الْعِنَايَةِ.

وَأَمَّا ثَانِيًا: فَلِأَنَّهُ أَجْمَلَ أَوَّلًا وَفَصَّلَ ثَانِيًا وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةِ الِاهْتِمَامِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَبَّرَ عَنْ هَذَا الْوُجُوبِ بِعِبَارَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا: لَامُ الْمِلْكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وَثَانِيَتُهُمَا: كَلِمَةُ: ﴿عَلَى﴾ وَهِيَ لِلْوُجُوبِ فِي قَوْلِهِ سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ يَقْتَضِي إِيجَابَهُ عَلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ يَسْتَطِيعُهُ، وَتَعْمِيمُ التَّكْلِيفِ يَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةِ الِاهْتِمَامِ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مَكَانَ وَمَنْ لَمْ يَحُجَّ، وَهَذَا تَغْلِيظٌ شَدِيدٌ فِي حَقِّ تَارِكِ الْحَجِّ.

وَسَادِسُهَا: ذِكْرُ الِاسْتِغْنَاءِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ الْمَقْتِ وَالسُّخْطِ وَالْخِذْلَانِ.

وَسَابِعُهَا: قَوْلُهُ: ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ عَنْهُ، لِأَنَّ الْمُسْتَغْنِيَ عَنْ كُلِّ الْعَالَمِينَ أَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُسْتَغْنِيًا عَنْ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ وَعَنْ طَاعَتِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَىٰ السُّخْطِ.

وَثَامِنُهَا: أَنَّ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْإِيجَابَ كَانَ لِمُجَرَّدِ عِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ وَكِبْرِيَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا لِجَرِّ نَفْعٍ وَلَا لِدَفْعِ ضُرٍّ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا فِي آخِرِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ وَمِمَّا يَدُلُّ مِنَ الْأَخْبَارِ عَلَىٰ تَأْكِيدِ الْأَمْرِ بِالْحَجِّ »(١).

وأمر ربُّنا عبادَه أن يأتوا إلىٰ بيتِهِ الحرامِ بأيِّ حالٍ يستطيعون، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧﴾(٢).

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٨/ ٣٠٦).

(٢) [الحج: ٢٧].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن﴾ أي: أَعلِمْ ونادِ في الناسِ أنْ حُجُّوا أيها الناسُ بيتَ اللهِ الحرامَ، ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ يقول: فإنَّ الناسَ يأتونَ البيتَ الذي تأمُرُهم بحجِّهِ مُشاةً علىٰ أرجُلِهِم، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يقول: وركبانًا علىٰ كلِّ ضامِرٍ، وهي الإبلُ المَهازيلُ ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ يقول: تأتي هذه الضوامِرُ ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يقول: من كلِّ طريقٍ ومكانٍ ومسلكٍ بعيد.. وذُكر أنَّ إبراهيمَ صلواتُ اللهِ عليه لمَّا أمرَه اللهُ بالتأذينِ بالحجّ، قام علىٰ مقامِه فنادىٰ: يا أيها الناسُ إنَّ اللهَ كتبَ عليكم الحجَّ فحجُّوا بيتَه العتيقَ... عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لما فرغ إبراهيمُ من بناءِ البيتِ قيل له: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال: رَبِّ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قال: أَذِّن وعليَّ البلاغ. فنادىٰ إبراهيم: أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فحُجُّوا. قال: فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والْأَرْضِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ النَّاسَ يَجِيئُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يُلَبُّونَ» »(١).

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٦٠٥).

وقدْ وردتِ الأحاديثُ الكثيرةُ التي تدلُّ علىٰ وجوبِ الحجِّ، بلْ وعلىٰ المبادرةِ إلىٰ أدائه عندَ الاستطاعةِ، فمن تلك الأدلةِ الصريحةِ الواضحةِ: حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّىٰ قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»، - ثُمَّ قَالَ -: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»(١).

والحجُّ أحدُ أركانِ الإسلامِ التي من جَحَـدَ وجوبها فقد نقضَ إسلامَه، وأبطلَ إيمانَه، ومن تَـركه تهاونًا فهو في تقصيرٍ وتفريطٍ حتىٰ يؤديَها، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

---

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رمضان»[١].

ومن عجَز عن أداءِ الحجِّ بنفسِه وعندَهُ قُدرةٌ علىٰ أنْ يُنيبَ غيرَه عنه فيجبُ عليه أنْ يُوكِّلَ من يحجُّ عنه، بدليلِ الحديثِ الذي رواه مسلمٌ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، عَلَيْهِ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الْحَجِّ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَىٰ ظَهْرِ بَعِيرِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحُجِّي عَنْهُ»[٢].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: « هذا الحديثُ فيه فوائدُ منها: جوازُ النيابةِ في الحجِّ عن العاجزِ المأيوسِ منه بِهرَمٍ أو زَمانَةٍ أو موتٍ، ومنها: بِرُّ الوالدينِ بالقيامِ بمصالِحهِما مِن قضاءِ دينٍ وخدمةٍ ونفقةٍ وحجٍّ عنهما وغيرِ ذلك، ومنها: وجوبُ الحجِّ علىٰ من هو عاجزٌ بنفسِه مُستطيعٌ بغيرِهِ كولدِه، لأنها قالت: أدركَتْهُ فريضةُ الحجِّ شيخًا كبيرًا لا يُستطيعُ أنْ يَثْبُتَ علىٰ الراحلةِ »[٣].

---

(١) رواه البخاري (٨) ومسلم (١٦).

(٢) صحيح مسلم (١٣٣٥).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (٩/ ٩٨).

وقد أمرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجلَ الذي أخبرَه بعَجْزِ أبيه عن السَّفرِ إلىٰ مكةَ بالحجِّ عن أبيهِ والاعتمارِ عنه، فعَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ، وَلَا الْعُمْرَةَ، وَلَا الظَّعْنَ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ، وَاعْتَمِرْ»(١).

والظَّعْنُ: الراحلةُ، أي: لا يَقْوىٰ علىٰ السَّيرِ ولا علىٰ الركوبِ من كبَرِ السِّنِّ(٢).

وكما دلَّ الكتابُ والسنةُ علىٰ وجوبِ الحجِّ، فإنه واجبٌ أيضًا بإجماعِ المسلمين علىٰ كلِّ مستطيعٍ من المسلمين.

قال السُّبْكيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ الْحَجَّ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ حُرٍّ مُسْلِمٍ مُسْتَطِيعٍ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ »(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٩٠٦) وأحمد (١٦١٨٤) والترمذي (٩٣٠) وأبو داود (١٨١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٧).

(٢) النهاية لابن الأثير (٣/ ١٥٧).

(٣) فتاوىٰ السبكي (١/ ٢٦٢).

عبادَ الله: إنَّ مما يدلُّ علىٰ أهميةِ أداءِ فريضةِ الحجِّ علىٰ جميعِ الناسِ أنَّ الإسلامَ شرعَ لِمَنْ حجَّ أن ينوبَ غيرَه في أداءِ هذه الشعيرةِ العظيمةِ المباركةِ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: «**مَنْ شُبْرُمَةُ؟**» قَالَ: أَخٌ لِي - أَوْ قَرِيبٌ لِي - قَالَ: «**حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ**»(١).

بلْ أرشدَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أداءِ الحجِّ عمَّن ماتَ ولم يحجَّ من المسلمين، وعَدَّهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البرِّ بالمُتوفَّىٰ ومن الوفاءِ بأداءِ حقِّ اللهِ سبحانه، فعنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تحجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تحُجَّ، أفأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أرأيتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أكنتِ قاضِيَتَهُ**». قَالَتْ: نعم، فقال: «**فاقضوا اللهَ الَّذِي لَهُ، فإنَّ اللهَ أحقُّ بِالْوَفَاءِ**»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (١٨١١) وابن خزيمة (٣٠٣٩) والطبراني في الكبير (١٢٤١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٨).

(٢) رواه البخاري (٦٨٨٥).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: إن أختي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ**». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَاقْضِ الله، فهو أحق بالقضاء**»(١).

فهذه أدلةٌ صريحةٌ وصحيحةٌ تدلُّ علىٰ أهميةِ أداءِ الحجِّ عمّنْ ماتَ ولم يحجَّ من المسلمين.

عبادَ الله: في الحجِّ ثوابٌ عظيم، وفضلٌ من ربِّنا عميم، فالمبرورُ من الحجِّ عدَّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أفضلِ الأعمالِ، وأجلِّ الخصال، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ «**جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ**». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مبرور**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢١).

(٢) رواه البخاري (١٤٤٧) ومسلم (١٣٥).

وعن ماعز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجَّةٌ بَرَّةٌ تَفْضُلُ سَائِرَ الْعَمَلِ كَمَا بَيْنَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَغْرِبِهَا**»[١].

وقد ذكرَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فوائدِ الحجِّ وثوابِ أعمالِه ما يجعلُ القلبَ يزدادُ شوقًا ورغبةً وحبًّا في أداءِ هذه الشعيرةِ العظيمةِ المباركةِ، فعن ابنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لرجلٍ من الأنصار: «**فَأَمَّا خُرُوجُكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ وَطْأَةٍ تَطَأُهَا رَاحِلَتُكَ، يَكْتُبُ اللهُ لَكَ حَسَنَةً، وَيَمْحُو عَنْكَ سَيِّئَةً، وَأَمَّا وَقُوفُكَ بِعَرَفَةَ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي جَاءُوا شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي، وَلَمْ يَرَوْنِي، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي، فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ رَمْلِ عَالِجٍ**[٢]**، أَوْ مِثْلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا، أَوْ مِثْلُ قَطْرِ السَّمَاءِ ذُنُوبًا غَسَلَهَا اللهُ عَنْكَ،**

---

(١) رواه أحمد (١٩٠١٠) والطبراني في الكبير (٨٠٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٣) وقال في التعليق: قلت: وليس هو ماعز بن مالك الذي رُجم في زمانه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نبَّه عليه الناجي.

(٢) رمل عالج: رمل عظيم في بلاد العرب يمر في شمال نجد قرب مدينة حائل بالسعودية إلىٰ شمال تيماء، وقد سمي قسمه الغربي (رمل بحتر) نسبة إلىٰ قبيلة من طيء، ويسمىٰ اليوم (النفود). (انظر: المعالم الأثيرة) (ص ١٨٥).

وَأَمَّا رَمْيُكَ الْجِمَارَ، فَإِنَّهُ مَذْخُورٌ لَكَ، وَأَمَّا حَلْقُكَ رَأْسَكَ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَسْقُطُ حَسَنَةً، فَإِذَا طُفْتَ بِالْبَيْتِ، خَرَجْتَ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»(١).

وفي الحج المبرور بُشرىٰ بالجنةِ يا عباد الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « الأصحُّ الأشهرُ أنَّ المبرورَ هو الذي لا يخالطُه إثمٌ، مأخوذٌ من البِرِّ وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول. ومن علامةِ القبولِ أنْ يرجعَ خيرًا مما كان ولا يعاودُ المعاصي. وقيل: هو الذي لا رياءَ فيه. وقيل: الذي لا يعقبُه معصيةٌ. وهما داخلان فيما قبلهما ومعنىٰ: ليس له جزاءٌ إلا الجنة؛ أنه لَا يَقْتَصِرُ لِصَاحِبِهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ تَكْفِيرِ بَعْضِ ذُنُوبِهِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، والله أعلم »(٣).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٨٣٠) والطبراني في الكبير (١٣٥٦٦) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٣٦٠).

(٢) رواه البخاري (١٦٨٣) ومسلم (١٣٤٩).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (٩/ ١١٨).

ومما يدلُّ علىٰ أنَّ الحجَّ المبرورَ سببٌ لنيلِ مغفرةِ الله سبحانه، ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجع كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أمه»(١).

وإنَّ الحجَّ جهادُ مَن لم يَستطعِ الجهادَ بالسَّيْفِ والسِّنَانِ، وقد قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الْحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَا أَدَعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٧٢٤) ومسلم (١٣٥٠).

(٢) رواه البخاري (١٧٦٢) والنسائي (٢٦٢٨).

(٣) رواه أحمد (٩٤٥٩) والنسائي (٢٦٢٦) والطبراني في الأوسط (٨٧٥١) والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٨٧٥٩)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٠).



وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ»(١).

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «شُدُّوا الرِّحالَ في الحجِّ، فإنه أحدُ الجهادين»(٢).

وإنَّك أيها المسلمُ إذا توجَّهت إلىٰ الحجِّ فإنك تكونُ وافدًا علىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وضيفًا علىٰ بيتِ اللهِ سبحانه، ولا شكَّ أن ربَّنا يُكرِمُ عبادَه ويُفيضُ علىٰ ضيوفِ بيتِه من العطايا ما لا يعلمون أو يُدركون، فهو الكريمُ المنَّانُ سبحانَه، ومما يدلُّ علىٰ أنَّهم ضيوفُ الله، الحديثُ الذي ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللهِ، دَعَاهُمْ، فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٦٥٦) وأحمد في المسند (٢٦٥٢٠) وابن ماجه (٢٩٠٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٧١).

(٢) رواه البخاري تعليقًا (١٥١٦).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٨٩٣) واللفظ له، ورواه ابن حبان في صحيحه (٣٩٠) والطبراني في الكبير (١٣٥٥٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٨).

وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَفْدُ اللهِ ثَلَاثَةٌ: الْغَازِي، وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ**»(١).

وإنَّ الحاجَّ في ضمانِ الله وعهدِه ما دامَ في رحلةِ الحَج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ فِي ضَمَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَىٰ مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ حَاجًّا**»(٢).

ومما يدلُّ على أهميةِ الحجِّ وفضلِه؛ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدَّمه علىٰ الجهادِ في بعضِ الحالات، فمن ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**» فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**انْطَلِقْ، فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**»(٣).

---

(١) أخرجه النسائي (٢٦٢٥) وابن خزيمة (٢٥١١) وابن حبان (٣٦٨) والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠٣٨٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٩).

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده (١١٢١) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥١).

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤٤) وصحيح مسلم (١٣٤١).

ومما يدلُّ علىٰ أهميتِه وكثرةِ منافعِه وتعدُّدِ فوائدِه أنَّ النبي صلىٰ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشدَ إلىٰ المتابعةِ بينَ الحجِّ والعمرةِ، وحثَّ علىٰ تعاهدِ البيتِ الحرامِ قدْرَ الإمكان، فعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»(١).

أيها المسلمون: ومما ينبغي للمسلمِ أن يَحرِصَ عليه؛ هو أنْ يحجَّ من طَـيِّبِ مالِه، وقد ذكر ابنُ رجب في لطائفِ المعارفِ أنه قيلِ لابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما أكثرَ الحاجّ؟ فقال: ما أقلّهم. وقال: الركب كبيرٌ والحاجُّ قليل. وحجَّ بعضُ المتقدمين فتُوفِّي في الطريقِ في رجوعِه، فدفنَه أصحابُه ونسوا الفأس في قبرِه فنبشُوهُ ليأخذوا الفأسَ، فإذا عُنقُه ويداه قد جُمعتْ في حَلقةِ الفأسِ فردُّوا عليه الترابَ، ثم رجعوا إلىٰ أهلِـهِ فسألوهمْ عن حالِه؟ فقالوا: صحبَ رجلًا فأخذَ مالَه فكان يحجُّ منه:

(١) رواه الترمذي (٨١٠) واللفظ له، ورواه أحمد (١٦٧) وعبد الرزاق في المصنف (٨٧٩٦) وابن ماجه (٢٨٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٥)، والوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦٧٢).

إذا حججت بمالٍ أصلُه سُحْتٌ — فما حججتَ ولكن حجّتِ العِيرُ
لا يقبلُ الله إلا كلَّ صالحةٍ — ما كلُّ من حجَّ بيتَ الله مبرورُ"(١)

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفةِ، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآياتِ والحِكَمِ المُنيفة، أقولُ ما سمعتم وأستغفرُ الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنبٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التوابُ الغفورُ الرحيم.



(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص/ ٦٦).

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لَا يَنْفَدْ، أَفْضَلَ مَا يَنبْغِي أَنْ يُحْمَدَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَفْضَلِ المُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَعَبَّدَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد وردَ الأمرُ بتعجيلِ أداءِ الحجِّ عند الاستطاعةِ، وجاء التنبيهُ علىٰ وقوعِ العوارضِ ونزولِ الحوادثِ، فاللبيبُ مَنْ يبادرُ إلىٰ أدائِهِ ما دامَ قادراً مستطيعًا، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ**»(١).

فيجبُ علىٰ من لمْ يحُجّ وهو يستطيعُ الحجَّ أن يبادرَ إليه؛ لِما رويَ عنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) رواه ابن ماجه (٢٨٨٣) وأحمد (١٨٣٤) والطبراني في الكبير (٧٣٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٠٤). عن الفضل بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

«**تعجّلوا إلىٰ الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يَعْرِضُ له**»(١).

ففي هذا الحديثِ حثٌّ منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ المبادرةِ إلىٰ أداءِ هذا الركنِ العظيمِ. والتعجُّلُ معناه: الإسراعُ، وهذا من أدلةِ وجوبِ الحجِّ علىٰ الفورِ.

كما أنَّ أوامرَ الله تعالىٰ يجبُ الإسراعُ بها، لِمَا علَّلَ به في الحديثِ السابقِ من خوفِ العوائقِ والعوراضِ التي تعرِضُ للإنسان، فإنه لا يدري متىٰ تَعْرِضُ له.

فعلىٰ المسلمِ أن يُبادرَ بأداءِ الأوامرِ والطاعات وهو في حالِ صحتِه واستطاعتِه قبلَ أنْ يندمَ، ولاتَ حينَ مَنْدَمِ.

ثم إنَّ اللهَ تعالىٰ إنما أوجبَه مرةً في العمُرِ، كما في حديثِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: خطبنا - يعني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: «**يا أيُّها الناسُ، كُتِبَ عليكمُ الحجُّ**» قال: فقامَ الأقرعُ بنُ

---

(١) رواه أحمد (٢٨٦٩) وعبد الرزاق في المصنف (٩٦٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٥٧)، وحسنه شعيب في تحقيق المسند (٢٨٦٧).

حابسٍ فقال: أفي كلِّ عامٍ يا رسول الله؟ قال: «**لو قلتُها لوجَبَتْ، ولو وجبتْ لمْ تعملوا بها، - أو: لم تستطيعوا أنْ تعملوا بها - الْحَجُّ مَرَّةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»(١).

فمِن حِكمةِ الله ورحمتِه بعبادِه أنَّه لمْ يوجِبِ الحجَّ إلا مرَّةً واحدةً في العمُر علىٰ الفورِ لمن استطاعه، ولا يتمُّ الدينُ إلا به وما زادَ فهو تَطَوُّعٌ.

عبادَ الله: إنَّ منَ الحرمانِ العظيمِ أنَّ العبدَ يُنفِقُ أموالَه في مجالاتٍ شتَّىٰ، وفي أبوابٍ مختلفةٍ، منها المباحُ وغيرُ المباحِ، ثم يستثقلُ السفرَ للحجِّ والعمرةِ، ويستكثرُ النفقةَ في سبيلِ أدائهما، وهذا قد يكونُ من الخِذلان وقَـلَّةِ التوفيق، بل أخبرَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه من الحِرمان؛ فعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ: وَإِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَأَوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَا**

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٤) والدارمي (١٧٨٨) وأبو داود (١٧٢١) والنسائي (٢٦٢٠)، وابن ماجه (٢٨٨٦) وصححه ابن باز كما في مجموع فتاوىٰ ابن باز (٣١/ ١٦) والألباني في صحيح أبي داود (١٧٢١).

يَفِدُ إِلَيَّ إِلَّا مَحْرُومٌ»(١). هذا في حقِّ من لَمْ يُكرِّرْ زيارةَ بيتِ الله الحرامِ مع قدرتِه على ذلك، فكيف بمن لم يؤدِّ فريضةَ الحجِ والعمرةِ أصلًا!

ولقد كان السلفُ يُكثرون من الحجِّ والعمرةِ ويتقربون بذلك إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، حتى رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا آسَى عَلَى شَيْءٍ كَمَا آسَى عَلَى أَنْ لَوْ حَجَجْتُ فِي شَبَابِي مَاشِيًا»(٢).

وعن نافعٍ، قال: «سافرتُ مع ابنِ عمرَ بضعًا وثلاثين حَجةً وعمرة»(٣).

وعَنِ ابْنِ حَرْمَلَةَ قال: «سَمِعْتُ ابنَ المُسَيَّبِ يقول: لقد حَجَجْتُ أَرْبعينَ حَجَّةً»(٤).

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٠٣١) والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٣٢) وابن حبان (٩٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٩).

(٢) الحاوي الكبير للماوردي (١٥/ ٤٧١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٧).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (ص/ ٣١١) والتاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٥١٧).

ولقد اشتُهر عنِ ابنِ المباركِ أنه كان يحجُّ عامًا ويجاهدُ عامًا، وفي السِّيَرِ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ، قَالَ:

بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوْفُ اللهِ أَخْرَجَنِي ... وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا

إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ ... مَا لَيْس يَبْقَى فَلا وَاللهِ مَا اتَّزَنَا (١)

وعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، قَالَ: «حَجَّ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ أَرْبَعِينَ حِجَّةً»(٢).

لا تَعرِضَنَّ لِذكرِنا في ذِكرِهِمْ ... لَيسَ الصحيحُ إذا مشى كالمُقْعَدِ

ألا فلنتّقِ اللهَ - يا عبادَ الله - ولْيحرِص كلُّ مسلمٍ على المبادرةِ والمسارعةِ إلىٰ أداءِ هذه الفريضةِ العظيمة، فإنها من الأهميةِ بمكان، ولا يتمُّ إسلامُ العبدِ ولا يكتملُ إيمانُه إلا بأداءِ فريضةِ الحجِّ إنْ كان قادرًا.

هذا وصلُّوا وسلّموا على المبعوثِ رحمةً للعالمين، اللهمَّ صل علىٰ محمد وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما صليتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل

---

(١) سير أعلام النبلاء - ط الحديث (٧/ ٣٧٤).

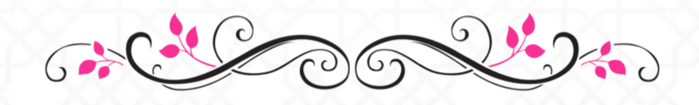
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٥).

إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهمَّ عن الصحابة أجمعين، أبي بكر وعمرَ وعثمانَ وعلي، وسائرِ الصحابةِ أجمعين، وعنَّا معهم بفضلِك وكرمِك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم انصرْ من نصرَ الدين، واخذلْ من يخذُل المسلمين، واجعلْ هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا رخاءً وسائرَ بلادِ المسلمين، اللهم آتِ نفوسَنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليُّها ومولاها. اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذاب القبر والنار، برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾(١)

وأقـــــــــــمِ الصـــــــــلاة.



(١) [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

تنبيه للخطباء:

الحديثُ عن الحجِّ والحثُّ عليه ينبغي أنْ يكونَ في شوال؛ لأنَّ إجراءات الحجِّ تبدأُ قبلَ شهرِ ذي الحجةِ بمُدة، وما ينفعُ أن يحثَّ الخطيبُ الناس علىٰ الحجِّ وقد اكتملَ العدد وأُغلِقتِ المعاملةُ، فالأنسبُ أنْ يكونَ في شوال.





١٤ - خطبة استسقاء بعنوان/

[المعاصي سببُ حلولِ المصائب]

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِك عليه وعلىٰ آله وأصحابِه إلىٰ يومِ الدين.

أما بعد، فيا أيها المسلمون: قد شكونا جَدْبَ ديارِنا، والقحطَ في بُلدانِنا، حتىٰ مسَّنا البأساءُ والضرَّاء، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، هو ملجؤنا، وهو الذي إليه نلتجِئُ عند الشدائد والمِحَن.

عباد الله: إنَّ ما يُصيبُ المسلمين من مصائبَ فإنما هو بسببِ ما كسبَت أيديهم؛ فما نزلَ بلاءٌ إلا بذنبٍ، يقول الله جَلَّ وَعَلَا:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾(١).

وما يقعُ في الأرضِ من فسادٍ بشتَّىٰ صُورِه فهو بسببِ ذنوبِ العباد، يقول ربُّنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾(٢) ونبيُّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**»(٣).

ولكنْ - أيها المسلمون - إنه لا يرتفعُ بلاءٌ إلا بتوبةٍ إلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يحصُلُ مخرجٌ من أزمةٍ وضيقٍ إلا بتقوىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فربُّنا - سبحانه - يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾(٤).

ويقول - عزَّ شأنُه -: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا

---

(١) [آل عمران: ١٦٥].

(٢) [الروم: ٤١].

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٢٢) والطبراني في الكبير (١٤٤٢) والحاكم في المستدرك (١٨١٤) وصححه، والبيهقي في الشعب (١٠٢٣٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٣٤٩).

(٤) [الطلاق: ٢].

﴿٤﴾﴾(١). ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾(٢).

أيها المسلمون: توبوا إلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا توبةً نصوحًا، وعودُوا إلىٰ العملِ الصالحِ بكلِّ أنواعِهِ، التجئُوا إلىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، تقرَّبوا إليه ظاهرًا وباطنًا، حقِّقوا التوحيدَ الخالصَ، والعملَ الصالحَ تنالوا الخيرَ بشتَّىٰ صُوَرِهِ في الدُّنيا والآخرةِ.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا مُبيِّنًا أنَّ المتاعَ الحسنَ والحياةَ الطيبةَ إنما هي بالتوبةِ الصادقةِ والاستغفارِ بالقلبِ والقولِ والعمل: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾(٣).

---

(١) [الطلاق: ٤].

(٢) [الأعراف: ٩٦].

(٣) [هود: ٣].

ويقول جَلَّ وَعَلَا عن نبيِّه هودٍ أنه قال لقومِه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾(١).

إنَّ التوبة النصوحَ والاستغفارَ الصادقَ سببٌ لنزولِ رحمةِ اللهِ سبحانه، يقولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عن نبيِّه صالحٍ أنه قال لقومِه: ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾(٢).

ورُوي أنَّ رجلاً اشتكىٰ إلىٰ الحسنِ الجدبَ، فأمرَه بالاستغفارِ، والآخرُ اشتكىٰ الفقرَ، فأمره بالاستغفار، والآخرُ اشتكىٰ قلةَ رِيعِ أرضِه، فقال: استغفِرْ. فقال الرَّبيعُ بْنُ صُبَيْحٍ: شكَوا إليك أبواباً وسألوكَ، والجوابُ واحدٌ؟ فتلا عليه الآية: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾(٣).

---

(١) [هود: ٥٢].

(٢) [النمل: ٤٦].

(٣) [سورة نوح: ١٠ - ١٢]. والأثر في غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (ص/ ٢٣٩). وذكره السخاوي في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥١٣).

فعلينا - أيها المسلمون - بالتوبةِ الناصحةِ الصادقةِ، الزَموا العملَ الصالحَ، أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ، اعتقادًا وقولاً وعملاً يحصُلُ لكم الفوزُ من كل جانبٍ.

أيها المسلمون: إن اللهَ جَلَّ وَعَلَا أمرَنا بدعائه، ووعدَنا بالإجابةِ، فنسألُ الله جَلَّ وَعَلَا أن يُجيبَ دعاءَنا، وأن يُفرِّجَ كُرُباتنا. لا إله إلا اللهُ يفعلُ ما يريدُ، اللهم أنت الغني ونحن الفقراءُ، أنزِل علينا الغيثَ ولا تجعلنا من القانِطين. اللهم أنزِل علينا الغيثَ واجعلْ ما أنزلتَه متاعًا إلىٰ حين.

اللهم أغِثنا، اللهم أغِثنا، اللهم أغِثنا، اللهم اسقِ عبادَك وبهائمَك، وأحيِي بلدَك الميتَ، وانشُرْ رحمتَك علىٰ العبادِ يا رحمنُ يا رحيم.

نسألُك بأننا نشهدُ أن لا إلهَ إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلِد ولم يُولَد ولم يكنْ له كُفُوًا أحد، نسألُك يا منَّان، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ أنْ تُنزِلَ علينا الغيثَ، اللهم أنزِلْ علينا الغيثَ، اللهم أحيِي بلادَنا بالمطر، اللهم أحيِي بلادنا بالمطر،



اللهم اسقِ بلادَنا وبلادَ المسلمين، اللهم اسقِ بلادَنا وبلاد المسلمين.

اللهم سُقيا رحمةٍ يا حيُّ يا قيُّوم، لا سُقيا هدمٍ ولا بلاءٍ ولا عذابٍ.

نسألك اللهم غيثًا مُغيثًا هنيئًا مريئًا عاجلاً غير ضارٍّ يا أرحم الراحمين.

اللهم لا ترُدَّنا خائبين، اللهم لا ترُدَّنا خائبين، اللهم لا ترُدَّنا خائبين.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك علىٰ نبيِّنا ورسولِنا محمد(١).



(١) خطبة الاستسقاء هذه نسختها من كتاب خطب المسجد النبوي (ص/ ٤٩ بترقيم الشاملة آليا). مع تعديل وإضافة يسيرين.

تم الجزءُ الأول من هذه السلسلةِ (زاد المنابر) ، ويليه الجزءُ الثاني بإذن الله تعالى، وأوّلُه خطبةُ جمعةٍ بعنوان: [الثقة بالله].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الكتاب

المقدمة ٥

محتويات الجزء الأول ٧

١- خطبة جمعة بعنوان: [تذكيرُ أهلِ الإيمان، بما ينبغي فعلُه في شعبان] ٩

الخطبة الثانية.. ٢٠

٢- خطبة جمعة بعنوان: [أهميةُ الاستعانةِ باللهِ علىٰ أداء الطاعات] ٢٤

الخطبة الثانية.. ٣٥

٣- خطبة جمعة بعنوان: [استبشارُ أهل الإيمان بقدوم شهر رمضان] ٣٩

الخطبة الثانية.. ٤٧

٤- خطبة جمعة بعنوان: [العناية بالقرآن في رمضان وسائر الأزمان] ٥٠

الخطبة الثانية.. ٥٨

٥- خطبة جمعة بعنوان: [فضلُ الجودِ في رمضان وسائر الأزمان] ٦١

الخطبة الثانية.. ٧٢

٦- خطبة جمعة بعنوان: [الاجتهاد في العشر وتحري ليلة القدر] ٧٩

الخطبة الثانية.. ٩١

٧- خطبة جمعة بعنوان: [الحثُّ علىٰ تجويدِ الختام وتحقيقِ الحكمةِ من الصيام] ٩٥

الخطبة الثانية..١٠٤

٨- خطبة عيد الفطر بعنوان: [حتىٰ تكونَ بالعيدِ سعيدًا].........................١٠٩

الخطبة الثانية.. ١١٧

٩- خطبة جمعة بعنوان: [طلبُ الكرامة في لزومِ الاستقامة] ١٢٠

الخطبة الثانية... ١٣٣

١٠- خطبة جمعة بعنوان: [التذكير المختصر ببعضِ صفات سيدِ البشر] ١٤٠

الخطبة الثانية... ١٥٦

١١- خطبة جمعة بعنوان: [اللُّمعة في فضائل يومِ الجمعة]........................ ١٦١

الخطبة الثانية... ١٧٨

١٢- خطبة جمعة بعنوان: [اللُّمعة في سُننِ يومِ الجمعة] ١٨٢

الخطبة الثانية... ١٩٨

١٣- خطبة جمعة بعنوان: [القولُ البديع في وجوبِ الحجِّ علىٰ كلِّ مُستطيع]...... ٢٠٤

الخطبة الثانية... ٢٢١

تنبيه للخطبُاء ٢٢٧

١٤- خطبة استسقاء بعنوان: [المعاصي سببُ حلولِ المصائب] ٢٢٨

فهرس الكتاب ٢٣٥